18me: année No 887

LeCaire - 3 — 7 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٧ ٥ القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ رمضان سنة ١٣٦٩ — ٣ يولية سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة ٥

«انجلترا هى المثل ..»

نحن هنا نحارب الشيوعية ، وفى انجلترا يحاربون الشيوعية أيضا .. ولكن السلاح يختلف عن السلاح والنتائج تفترق عن النتائج، حتى لنستطيع أن نقول إنهم مطمئنون وإننا غير مطمئنين. وحسبك دليلا هذا القانون الذى تفكر الحكومة فى إصداره ونعنى به قانون المشبوهين السياسيين !

ولقد نادينا على صفحات هذه المجلة بوجوب اختيار السلاح الملائم للقاء هذا العدو البغيض ، وهو محاربة الفكرة بالفكرة، ومواجهة الحجة بالحجة، ومقاومة الدليل بالدليل . . هذا السلاح القاطع لو اخترناه ، ثم استخدمناه ، لأتينا بخير النتائج ولظفرنا بالكثير ، ولأزهقنا باطل الدعاة حين يذيعون على الملأ أننا قد لجأنا إلى منطق الارهاب فى محاسبتهم حين عجزنا عن منطق الإقناع . . وتلك نغمة خبيثة يرددها اليوم أعداء النظام كما كان يرددها بالأمس أعداء الإسلام ، حين نادوا بأن الدين الجديد قد فرض على خصومه بقوة السيف لا بقوة الدليل والبرهان !

قلنا هذا ونادينا به ودعونا إليه ... وقلنا أيضا فى مجال الرد على المترضين الذين لا يؤمنون بقوة هذا السلاح ولا يطمئنون إلى جدواه : إذا كنتم تعتقدون أن هذا العلاج لن يقضى على المرض ولن يجتث جذوره من بعض العقول ؛ تلك التى ستبقى على ايمانها بالأفكار المنحرفة لأن أصحابها تجار مبادىء وأصحاب أهواء وأغراض، إذا كنتم تعتقدون هذا فإن لدينا العلاج الحقيقى للمشكلة كلها ، أو قل إنه السلاح الرئيسى الذى يرد أسلحة الدعاة وهى مقولة لا تقطع ولا تدفع ... إنهم يفقئون سمومهم فى كل بقعة يلوح لهم منها شبح الفقر وتبدو معالم الحرمان ، وفى كل مجموعة من الأحياء تجأر بالشكوى منادية برفع غبن أو مطالبة برد حق مهضوم .

وإذن فلنعمل جاهدين على تحقيق العدالة الاجتماعية التى لا تفرق بين فرد فرد ولا بين فريق وفريق ... علينا أن نهيىء العلم للجاهل ، والعمل للعاطل ، والدواء للمريض ، والحياة الكريمة التى توفر الاستقرار للموظف والعامل والفلاح . عندئذ تذهب دعوة السوء صرخة فارغة فى واد عميق ، وتكسد البضاعة الزائفة حين تغلق فى وجه المبادىء المنحرفة كل سوق من الأسواق !

هذا السلاح الأخير لن تجد انسانا عاقلا يرفع صوته معترضا على نتائجه المادية والمعنوية .. إنه السلاح الذى تشهره انجلترا فى وجه الشيوعية فتنهى المعركة بلا جلبة ولا ضوضاء . فى ثقة المطمئن إلى إحراز النصر وجدوى العاقبة وسلامة المصير . وهذا هو العلاج الذى نود أن يتنبه إليه المسئولون فى مصر .. وحسبهم أن انجلترا هى المثل !

العدالة الاجتماعية هى الكفيلة برد العدوان ... وإذا قال لنا قائل إن نظام الطبقات فى مصر لا يفسح الطريق لهذه العدالة فهو مسرف فى الوهم ؛ لأن نظام الطبقات فى انجلترا لا يزال قائما

على قدميه ، تمثله هذه الفئة من الأرستقراطيين والنبلاء ، وهي فئة متميزة كل التميز ظاهرة في المجتمع الانجليزي كل الظهور ، تشير إليها على الأقل مدرسة هارو وكلية إيتون ، وهما المعهدان العلميان اللذان لا يطرق أبوابهما غير أبناء الممتازين من الطبقة الاجتماعية ، ونعني بها طبقه الأمراء واللوردات!

نظام طبقات في انجلترا واضح كل الوضوح ، وحرية رأي مكفولة كل الكفالة ، وحزب شيوعي وآخر فاشستي ، ومع ذلك فالشيوعية هناك بائرة لا تجد أذنا تسمع ، والفاشستية حائرة لا تجد يدا تصفق .. لماذا ؟ لأن العدالة الاجتماعية هناك قد هيأت العلم للجاهل ، والعمل للعاطل ، والدواء للمريض ، وللحياة الكريمة التي توفر الاستقرار للموظف والعامل والفلاح .. وإذا اجتمعت كل هذه القيم المثالية لمجتمع من المجتمعات ، فلا حاجة به إلى الخوف الذي يدفع إلى سن القوانين وإصدار التشريعات !

انجلترا هي المثل .. وليست ايطاليا التي أقلق نظامها توليائي ، أو فرنسا التي هز كيانها توريز ! !

أ . م

صورة من الحياة :

قلب أب !

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

... وأراد خالك أن يقذف بغيظه المضطرم في وجه أبيك فما استطاع ، لأنه تربه في الدار والغيط ، وزميله في اللهو واللعب ، وصاحبه في زمن الشباب والفتوة ، ورفيقه في أيام الشدة والرخاء ؛ ولأنه رأى فيه صمتاً استشف من ورائه الضيق والندم ، وأحس من خلاله ثورة مكفوفة تجيش أحياناً ثم تتوارى في حزن وكمد، ولمس فيه أبوة حائرة مضطربة لا تكاد تبين عن رأي ، ولأنه ألفى الدار تموج بأشتات من الناس تملت نياتهم وسقمت ضمائرهم، فيهم اللؤم والشماتة ، يتربصون بالرجل - أبيك - الدوائر لينالوا من كرامته ويتندروا برجولته . فجلس بإزاء أبيك صامتاً وإن الثورة الجامحة لتوشك أن تجتاحه ، وإن الحزن المرير ليكاد يعصف به ، وإن الأسى العارم ليعصره عصرا . . .

واعتركت في نفس خالك عوامل الغضب والرحمة : الغضب مما كان من أبيك ، والرحمة به لأن ألسنة وضيعة لاكت رجولته التي لم تخدش يوما ، ثم تراءت له خالتك وهي تصرخ صراخاً فيه الفزع والرعب ، صراخاً يتحدث عن أسى الأم فقدت بنيها الثلاثة دفعة واحدة ... تراءت له وهي تفزعه بالنواح وتستحثه بالأسى ، فهب من مكانه ثائرا يريد أن يقذف بغيظه المضطرم في وجه أبيك ، ولكن...

ولكنه هب فجأة ليرى أمامه ناظر العزبة ، لقد دخل الرجل على حين فجأة من الناس، وعلى وجهه سمات الشجن ، وفي مشيته علامة الاضطراب ، وراح يتحدث بكلمات حزينة متقطعة لا تكاد تفصح عن معنى . وقص الرجل على الملأ قصة الصبية الثلاثة الذين طاروا من دار أبيهم يقطعون الطريق الوعر الطويل يضنيهم الجهد وترهقهم الهاجرة ويقتلهم الضنا

وماتت الكلمات على الشفاه ، ثم ما لبث الجمع أن انفض في صمت ، وخلا المكان إلا من رجلين — أبيك وخالك — يتحدثان حديث الأخوة والصداقة ، فرضي خالك

ثم صفرت الدار إلا من رجل واحد يلفه الظلام والسكون ، رجل ينبض قلبه بالحنان وتخفق روحه بالرحمة وتضطرب نفسه بالندم ، ثم شملته اللوعة الفوارة فطفرت من عينيه عبرات تشهد بأن قلب الأب لا ينطوي — أبداً — إلا على الرقة والمحبة ، ولا ينضم إلا على العطف والشفقة . وأرقته الحادثة فما هدأ إلى مضجعه حتى مطلع الفجر

وهبت نسمات الفجر الندية توقظ أباك من غمرة الفكر وتزعجه عن نوازعه الأرضية ، فانطلق صوب المسجد ليلقي أتراجه في سبحات النور الإلهي التي تغمر القلب حين ينزع عنه ترابية الأرض ليعيش حيناً في دفقات النور السماوي . وبين يدي المحراب خلص أبوك من ضنا نفسه وخلع ثوب الأسى عن نفسه ، غير أن عبرات حرى ما زالت تترقرق في محجريه

وخرج أبوك من المسجد وقد أفعم قلبه بالبغضاء والكراهية للفتاة التي أوحت إليه أن يرفع الطعام الشهي من بين يدي الصبية الصغار أحوج ما يكونون إليه، ليعيشوا حيناً في العناء والجهد والجوع.

الآن خسرت الزوجة الحمقاء — في لمحة واحدة — السعادة التي كانت تطمع أن تستخلصها لنفسها يوم أن تنزعك عن الدار التي ضمتك في حنان ونشأتك في عطف ... خسرت السعادة لأنها فقدت قلب الزوج وعطف الرجل وهدوء النفس، فقضت عمرها في ضيق ونكد لأن نزوات شيطانية سيطرت عليها فدفعتها فارتكبت حماقة هوجاء افتضح أمرها فاقضت مضجعها وهدمت حياتها وحطمت أملها

يا لعدل السماء! إن الحفرة التي حفرتها الفتاة لتقذف فيها بثلاثة من الصبية الأبرياء قد فتحت فوهتها في شره وغلظة لتبتلعها هي، ولتلبث فيها زهرة العمر تذوق وبال الوحدة والانكسار والألم جميعاً

وفي بكرة الصباح هم أعمامك — وهم كثر — صوب المنزبة يريدون أن يختلوا الصبية عن العقل، ويخدعوهم عن المنطق، ويسيطروا عليهم بكلمات براقة جوفاء. ودخلوا عليك وأنت تتناول طعام الصباح — بين أخويك — في لذة وشهية، في جو من المرح والمحبة، وقد طمت النشوة على أتراح الأمس ... دخلوا فابتسموا وابتسمت. وأذهل الرجال أن يسمعوا في صوت هذا الصبي رنات الجد والحزم، وأن يجدوا في حركاته معاني الرجولة الآمرة المتسيطرة. وأخذ عمك يزوق كلاماً فيه الرقة والطلاوة يريد أن يختلك عن العقل، ويخدعك عن المنطق، ويسيطر عليك بكلمات براقة جوفاء. فقلت له «ألست الآن رب هذه الدار وصاحب هذا الشيط وسيد هذا القوم؟»

قال عمك الأكبر «بلى، يا بني، ومن قبل!»

قلت «أليست دار أبي تشرق بالخير المتدفق من غلات هذه الأطيان؟»

قال «بلى، يا بني!»

قلت «والنعمة التي ترفل فيها زوج أبي، والرخاء الذي ينعم به أبي؛ أليسا من فضل هذا الحقل؟»

قال «بلى وربي!»

قلت «والطعام الذي رفع من بين يدي في قسوة وجفاء، أليس من جنى هذه الأرض؟ لقد رفعت يدي — مرغماً — عن طعام تشتهيه نفسي في غير ذنب جنيته، على حين أنه من بعض مالي أنا. لقد حرمت الطعام والعطف معاً فنزعت إلى هنا لا أجد المال والطعام والحرية جميعاً. فلا على إن أنا مللت!»

قال عمك الأكبر «ولكنك ابن أبيك، يا بني وهو أبوك!»

فقلت أنت «ولكنه أراد أن يقتلنا جميعاً دفعة واحدة على حين لم نقترف جريرة، ولم نحمل له في قلوبنا غير المحبة والاحترام»

فقال في رقة وهو يحاول أن يحبس عبرة تراود نفسها أن تطفر من بين محجريه «لقد جئنا لنعتذر عن غلطة أبيك حين ندم على ما كان منه. وأشد ما يؤلمه أن تظلوا هنا في منأى عنه وأنتم نور عينيه وسعادة قلبه ولذته العظمى في الحياة وأمله الرفاف حين يهي الجلد ويهن العزم ويذوى العود وتسري الشيخوخة الباردة في دمه. فهل كنت تطمع أن يطير هو إليكم ليعتذر؟»

وسمعت — يا صاحبي — كلمات عمك وهي تفيض حناناً ورحمة فتهاوت قوتك وانهارت عزيمتك، وأطرقت تكرر كلمات عمك في همس والعبرات تنهمر من عينيك سيلا ينبيء بأنك ما زلت صبياً لم يدنسك الدغل ولا شوهك الغيظ ولا لوثتك المادة، ثم نظرت إلى الجمع من خلال عبراتك الطاهرة وقلت «لا ريب، فهو أبي ... ولا أعصى له أمراً، فر بما يريد»

وانطوت ساعة فإذا أنتم بين يدي أبيكم يضمكم في شوق، ويقبلكم في شغف، ويحدثكم حديث قلبه وقد اختلطت عبرة بعبرة وخفق قلب لقلب وتعانقت زفرة وزفرة، ثم اندفع الركب يسير

وعشتم — يا صاحبي — في الدار أحزاباً ثلاثة: الأب، وهو رجل دين وإيمان، في قلبه العطف وفي روحه الحنان؛ تثأرت الذكرى في جوانحه — منذ يوم الحادثة السوداء — قوية عنيفة، تذكره بالزوجة الأولى — أمك — التي ذاق إلى جانبها لذة العيش ومتعة الثراء وحلاوة الاخلاص؛ والتي يرى صورتها مرسومة — دائماً — على وجوهكم فيرى الزلة التي ارتكب على حين غفلة منه تتشبث به وتخز ضميره، فلا يجد شفاء لنفسه إلا في أن يضمكم إلى

صدره ضمات شوق وحنان ، وإلا فى أن يغمركم بالعطف والشفقة ، وإلا فى أن يبذل لكم من ماله ومن سلطانه ، وإلا أن يعقد العزم على شأن يخصكم به ليكون كفارة ما كان . وانطوت السنون وهو لا ينسى ... والزوجة ، وهى فتاة حمقاء أعجزها أن تستميل قلب أبيك بعد أن انكشف خبثها وبدت شيطانيتها ، فانكسرت شوكتها وعاشت بينكم غريبة تعانى مرارة الذلة وقسوة الخضوع ، لا تحس الراحة ولا الهدوء ولا اللذة ... أما أنتم فقد ربطتكم الشدة بروابط الصداقة وجمعتكم القسوة بأواصر المحبة ، وأنتم ما تزالون فى أول الطريق ...

لقد عقد أبوك العزم على شأن يخصكم به ليكون كفارة الزلة التى ارتكب على حين غفلة منه ، فماذا كان منه ، يا صاحبى؟ وماذا كان ؟

كامل محمود حبيب

فلسفة الاصـــلاح

الاستاذ محمد محمود زيتون

ليس من العجيب أن تكون الدعوة إلى الاصلاح الاجتماعى قديمة قدم الانسان ، فقد كان العالم من قبل غير منسجم مع النزعات البشرية ، لأن شيئا جديدا طرأ على العالم وهو (العقل) الذى لم يكن شيئا مذكورا .

أخذ الانسان بهذا السلاح ، وحاول استخدامه ، وهو فى موقف المقاومة ، إزاء جميع القوى المحتشدة عليه ، والتى ليس له طاقة بها . حينذاك شعر بأنه أقل من خصمه الحيوان : فالحيوان مسلح بظفره وناب وقرنه ، أما هو فليس له من ذلك شىء ، وإذن فهو مضطر إلى تقليده ليدفع عن نفسه كل العوادى بحجر يرمى به أو غصن يتخذه رفيقا له أو ما شابه ذلك مما يقع تحت سمعه وبصره .

وهكذا كان الانسان فى بدء حياته « حيوانا صناعيا » لأنه ألفى سلاح العقل واعتمد سلاح الوحشية ، ولا سبيل إلى إنقاذ الانسان من هذه الوهدة التى تردى فيها والتى كادت تحشره فى زمرة الوحوش إلا بالرسالات السماوية تعلو به إلى ما يجب أن يكون عليه من تسام بالروح ، وعلو بالعقل ، وترفع عن الحيوانية التى أساس العملة فيها الظفر والناب والقرن .

والحكمة من هذه الرسالات السماوية النهوض بالسلاح الانسانى إلى النواحى الايجابية فى الحياة ، وتهذيب كل اللغات اليدوية فالروحية والمعاشية ، على أحسن وجه وأقوم سبيل :

ولم تكن الرسالات فى الحقيقة بدعا من الأمر ، وإنما هى من صميم الحاجة الانسانية وليست منهـــا ببعيد ، فاذا ضلت الانسانية سبيلها ، فما عليها إلا أن تعود الى تعاليم الرسالات ، فاذا اهتدت فليس معنى ذلك أنها جاءت بجديد ، وإنما هى عادت إلى حيث يجب أن تعود .

وتاريخ الفكر البشرى شاهد عدل على ذلك : ففلاســفة اليونان والقدامى منهم بصفة خاصة — ظلوا ردحا من الزمن حيارى إزاء ما هم فيه من فوضى فى كل مرافق الحياة السياسية والاجتماعية والفردية والروحية . وهم عندما أرادوا لهذه الأحوال إصلاحا بدءوا باصلاح العقل لأنه السلاح الذى إذا شحذ جيدا كان أقطع وأمنع مما سواه ، بل هو وحده الوصل الجيد للغرض المنشود ، وأقرب المسالك اليه .

شاعت السفسطائية قبل سقراط ؛ فسادت الفوضى ، فى الفكر والخلق والدين والسياسة ، وإذا بسقراط يرمى بأول سهم فى هذا الميـــدان ويعلق تلك الحكمة الخالدة (اعرف نفسك) التى كان قد قرأها على باب معبد « دلف » وعندما سئل عن مبلغ علمه قال « كل ما أعرف هو أنى لا أعرف »

وهذا من من غير شك بدء طبيعى ؛ لأن العارف لا يعرف وإنما سقراط (نبى غير رسمى) أراد أن يبشر برسالة الفكر فحطم كبرياء السفسطائيين وغرورهم وتعاليهم ، فهو يعلن أنه لا يعلم شيئا لأنه عالم أما هم فيدعون علم كل شىء لأنهم جهال .

وبلاد اليونان جبال بينها شعاب تقوم فيها مدن منفصل بعضها عن بعض ومنذ ابتليت بالغزو الفارسى ذاعت فيها الفوضى من كل لون . فلما تعمق أثر هذا الجرح السياسى فى خواطـــر المفكرين الأحرار ، وضح سبيل الخلاص ، وإذا بسقراط

« المعلم » الأول يتحدث ويعلم ويمشي في الأسواق ويرتاد النوادي لينشر دعوته مؤمنا بسلاحه القوى وهو العقل فيتفلسف . وأول ما يتفلسف يقيم هيكلا فكريا للعقل يسميه الفلاسفة « نظرية المعرفة » ويسير على نهجه من بعده أفلاطون وأرسطو ، ويكمل اللاحق منهم ما لم يتح للسابق .

ومن أجل هذا نرى دائما « نظرية السياسة » آخر حلقة من حلقات الفلسفة اليونانية ، وقد سبقتها سلسلة طويلة عريضة من تمهيدات فكرية في الطبيعة والنفس والأخلاق » .

والسياسة عند اليونان هي غاية الاصلاح ، أما العقل فهو نقطة البدىء والغاية هي التي تحفز على الحركة ، وتبعث على العمل .

وكان أفلاطون أكثر تحمسا للاصلاح ، وأغزر إنتاجا في مجاله ، فقد رسم في « الجمهورية » رسما تخطيطيا بارعا للمجتمع اليوناني ، وذلك بعد عرض لنظرية « المثل » التي محور ارتكازها العقل ، والتي توحي بأسبقية الميزان على الموزون ، وضرورة « القيمة » في « الحكم »

وليس أدل على نمو هذا الاتجاه ، وصدق النية فيه ، من إصلاح الفكر الذي نادى به أرسطو إذ وضع « آلة » لعصمة الفكر من الوقوع في الخطأ ، وحرص على أن يكون « المنطق » وهو علم هذه الآلة مدخلا لكل علم ، وأساسا لكل تفكير .

وما إن انحدرت البشرية إلى هاويتها السحيقة حتى انتشلتها الرسالات تباعا ، ونهضت بها إلى درجات السمو ، فلما غفلت عنها أوربا المتخبطة في دياجير الظلم والظلام ، عنت نفس الحاجة التي صادفت سقراط إذ خلقت منه ظروف بلاده مصلحا اجتماعيا .

وكذلك العالم الاسلامي في العصر الوسيط ، إذ أراد الفارابي أن يقيم دعائم « المدينة الفاضلة » فاتجه إلى حقيقة النبي ، والسر في صلاحيته للرسالة ، ودرس لذلك تفاوت البشر في درجة الخيال وملكة الالهام ، فاذا أراد أفلاطون أن يكون الفلاسفة ملوكا والملوك فلاسفة ، فقد أراد الفارابي أن يكون الفلاسفة المصلحون ورثة الأنبياء .

وأحاطت بفرنسا في القرن السادس عشر ظروف سياسية عنيفة كان العقل فيها وقفا على أهل الكنيسة والعلم احتكارا لهيئة كبار العلماء . فقام « ديكارت » ليدلي بدلوه في الاصلاح بمحاورة فلسفية يتخطى بها كل الحواجز والموانع التي تحول دون غرضه فأحصى في كتاب خاص « قواعد لهداية العقل » لأن شيطانا ماكرا genie malin — على حد تعبيره — يعبث بأفكاره ويضلله ولم يلبث أن وضع كتابه الآخر عن « المنهج للبحث عن الحقيقة في العلوم » وقال فيه أول ما قال « العقل أعدل الأشياء توزعا بين الناس » فكانت هذه الجملة بمثابة القنبلة التي ألقاها « ديكارت » على الأرستقراطية المزعومة فحطم أوكار الاحتكار العلمي ، وأخرج العلم من زوايا الأديار والصوامع ، إلى ضوء النهار الساطع ، ونجحت الثورة الديكارتية

وجاء « فرنسيس بيكون » فحطم « أصنام العقل » التي لخصها فيما يلي :-

١ — أصنام القبيلة : كناية عما يرثه الإنسان من جنسه البشري كتصديق المرائين والمنجمين الذين إذا صدق أحدهم مرة ظن الإنسان أن المنجمين صادقون ، وكذب المنجمون ولو صدقوا .

٢ — أصنام المسرح : كناية عن تأثر الشخص بالمشهورين قبله مثله كمثل المتفرج الذي يقلد الممثل إذا أجاد دوره .

٣ — أصنام السوق : كناية عن العملة التي نتعامل بها في المجتمع وهي اللغة التي تستعبدنا ألفاظها ومعانيها .

٤ — أصنام الكهف : كناية عما لكل فرد من مستودع سحيق ، في قرارة نفسه تنحدر إليه مؤثرات من الخارج سواء من الوراثة أو البيئة أو ما سواهما .

ولكي نقيم أساس الإصلاح لابد من تحطيم هذه الأصنام التي تستعبد العقل وتستبد به ، وتحول بينه وبين التبصر والتدبر مما لا يصلح معه نظام . وبناء المجتمع لا ينهض قويا متينا إلا إذا أتينا عليها من القواعد .

هذا عرض سريع لفلسفة الاصلاح منذ أقدم العصور وهو تاريخ جدير بالنظر والاعتبار .

فاذا نحن أردنا لهذا المجتمع الحالي إصلاحا ، وقفنا منه على أشياء منها : أن المجتمع الآن نهب لاشتات النوازع الوحشية ، والشهوات البهيمية ، حتى نأى الفرد والمجموع معا عن ينبوع

الرسالة السماوية : فلم يعد للضمير وخز ، ولم يعد القلب ينبض بالخير والمعروف ، وجمد العقل وعكف على أصنامه ، ورانت غشاوة المادة على النفس الانسانية ، وتجمدت الأكباد ، ارتكانا على مخترعات «الحيوان الصناعي» الذي أعاد التاريخ ذكراه ، وأصبح كل همه الآن: الهجوم أو المقاومة، ولا شيء غير ذلك. فالسياسة الآن كلها مكر الذئاب ، وروغان الثعالب ، ونباح الكلاب ، وجبن النعاج ، وتسلل الغيران .

والدين كذلك هو التراخي والتواكل والذل والهوان والاستكانة والعبودية ، والعملة المتداولة كلها زيف وزور وبهتان ولا رأس مال لها من دين أو قانون، ولا رصيد لها يحميها ويغطي الخسارة ، أما المكسب فهو النهب والسلب والغصب والغبن والفحش .

والتربية هي الأخرى تخلصت من «العروة الوثقى» وتحللت من جميع القيود، فلا كبير ولا صغير ، ولا وازع ولا رادع ، ولا حرية للانطلاق ، ولا حدود للحجر .

وهكذا في جميع مرافق المجتمع ، والفوضى ضاربة أطنابها والغيورون في حيرة عجيبة ؛ أيبدأون بإصلاح السياسة أم الاقتصاد أم التربية ، أم يبدأون بإصلاح الفرد أم المجتمع ؟ وهل يصلحون الدنيا ليصلح الدين ، أم هل يصلحون الدين لتصلح الدنيا ؟ وظل هذا التخبط وسيظل حتى يعود الأمر إلى نصابه .

والحق أنه ما دامت الأصنام قائمة في المعبد والمنزل والمدرسة والسوق فلن يصلح الفرد ولا المجتمع . وسبيل الخلاص معروف ، ولا مناص من السير فيه لأنه طبيعي ، وسهل ميسور : وهو أن نهدف إلى غاية واضحة نبيلة، ونتجه جميع الأنظار اليها وتستوعبها وتؤمن بها . والمنطق السليم يقول بأن هذه الغاية هي «الله سبحانه وتعالى ، وهو الأول والآخر ، وهو الذي خلق العقل أول ما خلق. والآن وبعد أن انحدرت الانسانية إلى هذه الهاوية المادية وبعد إعفالها صوت العقل لا سبيل إلى انتظام الحال إلا باصلاح العقل وتخليصه من أوهامه وإنقاذه من أصنامه ، وهذا هو البدء الصحيح وصدق الشاعر :

إذا أفسدت أول كل أمر أبت أعجازه إلا التواء

وهذا هو أقرب السبل إلى الغاية المنشودة فالعقل لا يدرك الأمور أحسن الادراك ، ولا يقدرها التقدير الصحيح ، ولا يدفع الفهم إلى العمل النافع المأمون، إلا إذا كان هو نفسه سليما ، وكاملا متكاملا ، أي حرا طليقا في تأثره وتأثيره . كما أن العقل هو الذي يهدينا إلى الهدف ، ويتحد له المناهج ، ويتوخى الظروف .

فلنعد إلى العقل نستصلحه أولا لنطمئن تماما على إصلاحه حتى إذا تم ذلك لم يعد أمام المصلحين إلا مجرى ممهد تماما لتيار الإصلاح السليم « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

محمد محمود زيتونه

المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم
في القرن التاسع عشر

تاليف المستعرق الكبير ادوارد وليم لين

نقله إلى العربية الأستاذ عمر لطفي

كتاب يقع في ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير وهو سجل حافل لعادات المصريين وآدابهم وأحوالهم واعتقاداتهم وأساطيرهم القرن التاسع عشر. يمتاز بوضوح المنهج ودقة التفصيل وتوخي الحقيقة وجمال العرض وتصوير الأشياء والأشخاص بالقلم والريشة تصويراً يحفظ لها خصائصها وملامحها في الذهن والعين على تراخي الزمن . والكتاب مترجم عن الانجليزية ترجمة أمينة دقيقة تكاد مع بلاغتها وسهولتها تكون حرفية

يطلب الكتاب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات الشهيرة والثمن خمسون قرشا عدا أجرة البريد .

الاجتهاد في التشريع الاسلامي

لصاحب العزة محمد سعيد أحمد بك

— ٢ —

قدمنا أن الأئمة الأربعة المعترف بهم من المسلمين السنيين قد أجمعوا على خطر الاجتهاد فى التشريع الاسلامى ، وعلى ذلك كان الاجتهاد والاجماع وهو اجتهاد الجماعة أصلين آخرين للاسلام بعد القرآن والسنة

وتعرف الأدلة المستندة إلى القرآن والسنة بالأدلة القطعية ، والأدلة المستندة إلى الاجتهاد والاجماع بالأدلة الاجتهادية. وللاجتهاد محيط واسع جدا فى التشريع الاسلامى إذ أنه الوسيلة الوحيدة لايجاد الحلول لكل المسائل التى ينص عليها صراحة فى القرآن أو السنة . وقد استخرج المجتهدون الأحكام بوسائل سميت بالقياس والاستحسان والاستصلاح والاستدلال . وفيمايلى بيان مختصر عن كل وسيلة من هذه الوسائل تبين كيف تستخرج الأحكام بواسطتها

القياس

وأهم هذه الوسائل القياس. مصدر قاس بمعنى قدر، ويستعمل مجازا فى التسوية. ويعرفه الأصوليون بأنه نظر يوصل إلى اثبات حكم الأصل فى الفرع لمشاركته فى علة حكمه . فقد تعرض على القاضى قضية ليس فى القرآن أو السنة نص صريح للحكم فيها فيمكن ايجاده بالقياس على النصوص الصريحة . فالقياس تطبيق للحكم الوارد فى الكتاب أو السنة على المسألة القائمة . والأحكام المستنبطة بالقياس ليست فى قوة القرآن أو السنة. ولم يقل أحد من المجتهدين بأنه معصوم من الخطأ فى وضع هذه الأحكام، ولذلك تجد الاختلاف كبيرا بين القضاة فى أحكامهم ، كما أن الأحكام القائمة على القياس قد يعمل بها فى عصر ثم تبطل فى عصر آخر

الاستحسان والاستصلاح

الإستحسان معناه لغة عد الشئ حسنا ؛ ويعرفه الأصوليون بأنه ما قابل القياس الجلى سواء أكان نصا أم اجماعا أم قياسا خفيا. غير أنه غلب وشاع استعماله فى القياس الخفى وهو الذى خفيت علته

وقد وضع الامام أبو حنيفة قاعدة تنبئ أنه إذا لم يقبل حكم من الأحكام القائمة على القياس لكونه مخالفا للقواعد العامة للعدالة أو غير صالح للجماعة لعدم ملاءمته لهم يمكن للقاضى أن لا يأخذ بهذا الحكم ويستنبط حكما آخراً أكثر مطابقة للعدالة وملاءمة لحاجات الناس. ولقد لقيت هذه القاعدة معارضة كبيرة من المذاهب الأخرى ولم يعمل بها إلا القليل من اتباع المذهب الحنفى . ولا شك أن هذا المبدأ سليم فى ذاته ومطابق لروح القرآن . وزيادة فى القول نقول إن التعرض للخطأ فى تطبيقه قليل بالنسبة للقياس الذى يؤدى تطبيقه فى بعض الأحوال إلى نتائج قد تتعارض مع الروح الواسعة التى تقضى بها أحكام القرآن . وللامام مالك مبدأ مشابه لهذا وسماه الاستصلاح

الاستدلال

أهم مصادر الاستدلال المعترف بها هى العرف والعادة وأحكام الشرائع المنزلة قبل الاسلام ومعلوم أن العرف والعادات التى كانت شائعة فى الجزيرة العربية قبل الاسلام قد يؤخذ بها إذا لم يحرمها الإسلام. وعلى ذلك فكل العادات وما جرى عليه العرف فى أى بلد يصح الأخذ به ما دام غير متعارض مع التعاليم الاسلامية ولم يحرمه القرآن أو السنة ، إذ أن الأباحة هى الأصل ما لم يحرمها الدين . فإذا جرى العرف على أمر من الأمور كان هذا بمثابة اجماع الناس على قبوله وبذلك يكون له قوة تسبق قوة القواعد المستنبطة بالقياس

وليس له من ضابط سوى ترك مخالفته لنص صريح فى القرآن أو السنة . والمذهب الحنفى يعلق عليه أهمية كبرى كأصل من أصول التشريع الاسلامى . وقد ورد عن ذلك فى كتاب الأشباه والنظائر قال: لقد أصبح العرف والعادة مصدرين لكثير من الأحكام حتى أصبح معترفا بأنهما أصل من أصول التشريع

الاسلامى . وأما ما يختص بأحكام الشرائع المنزلة قبل الاسلام فقداختلف الفقهاء فيها ؛ فبينما يرى بعضهم أن هذه الأحكام يجب التقيد بها ما لم يبطلها القرآن صراحة يرى البعض الآخر خلاف ذلك. ويرى أبو حنيفة أن هذه الأحكام مقيدة لنا إذا قررتها شريعتنا ولم ينص على بطلانها

الاجماع

يطلق لفظ الاجماع على العزم والاتفاق ؛ وذلك لأن فى العزم جمع الخواطر، وفى الاتفاق جمع الآراء. وعند الأصوليين هو اتفاق المجتهدين فى عصر من العصور على حكم شرعى . والاجماع إما أن يكون قولا بأن يتكلم جميع مجتهدى العصر كلاما يدل على اتفاقهم فى الحكم ، أو فعلا بأن يشرعوا جميعا فى فعل ويمضون فيه ، أو سكوتا بأن يفتى بعضهم أويقضى فى مسألة بحكم ويسكت الباقون عن الانكار والرد عليه بعد علمهم بالحكم . ويشترط فى الاجماع اتفاق جميع المجتهدين فى أحكام الدين على الحكم فلا عبرة بقول العوام ولا بقول علماء فن يقضون بحكم فى غير فنهم . ويرى بعضهم ان الاجماع ينعقد باتفاق المسلمين فيما عدا الصبية والمتوهين على حكم من الأحكام . وهناك اختلاف فى الرأى فيما إذا كان الاجماع مقتصرا على بقعة من البقاع أو عصر من العصور . ويرى الامام مالك أن اجماع أهل المدينة وحدهم حجة مع وجود غيرهم من المجتهدين . ويردون على ذلك بأن اشتمال المدينة على صفات موجبة لفضلها لا يدل على انتفاء الفضل عن غيرها. كما أنه لا يمكن القول بانحصار العلم والمجتهدين فى أهل المدينة، فانهم كانوا فى عصر الرسول منتشرين فى البلاد متفرقين فى الامصار وكلهم فى النظر والاعتبار سواء . والواقع أن الاجماع مبنى على الاجتهاد والنظر والبحث والاستدلال على الحكم وذلك مما لا يختلف بالقرب والبعد ولا باختلاف البقاع . ويستبعد السنيون طائفة الشيعة من جماعة المجتهدين كما أن الشيعيين يقصرون الاجتهاد على أبناء الامام على . ويرى بعض السنيين أن الاجتهاد يقتصر على صحابة الرسول . ويرى آخرون أن يدخل التابعون فى زمرة المجتهدين . والرأى الغالب هو أن الاجماع لا يقتصر على عصر من العصور أو قطر من الأقطار وإنما يكون باجماع مجتهدى العصر الواحد فى كل الأقطار

واختلف الرأى كذلك فيما إذا كان الاجماع يتطلب موافقة جميع المجتهدين أو كثرتهم . ويرى معظم الفقهاء أن الاجماع يتطلب موافقة جميع مجتهدى العصر الواحد . على أنهم يرون أنه إذا كان المخالف نادراً فيكون الاجماع حجة ، إلا أنه لا يكون قاطعا . ويكون الاجماع منعقدا إذا صدرت الفتوى أو الحكم من جميع مجتهدى العصر الواحد . ويشترط بعضهم انقراد عصر المجمعين لاحتمال رجوع بعض المجتهدين فى الفتوى أو الحكم إذ أنه من الضرورة توفر شرط عدم الرجوع وهذا لا يكون إلا بانقراض جميع مجتهدى العصر الواحد

وإذا انعقد الاجماع على مسألة فلا يصح الرجوع فيه إلا إذا رأى بعض فقهاء العصر الذى حدث فيه الاجماع رأيا يخالف الرأى المجمع عليه . والأجماع الذى ينعقد فى عصر من العصور يصح الرجوع فيه باجماع آخر فى نفس العصر أوأى عصر لا حق له. ويستثنى من ذلك عصر الصحابة فلا يجوز الرجوع فى اجماع حدث فيه باجماع فى عصره بعده يخالفه . ولقد تباين الرأى كذلك فيما إذا اختلف الصحابة فى مسألة من المسائل فهل يصح الاجماع على رأى فريق منهم دون فريق . والمعترف به أن الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، وما دام الأمر كذلك فلا مانع من قبول إجماع يعارض رأى أحد الصحابة . وهناك مسألتان يجب عرضهما لتعرف قوة الاجماع فى التشريع، فانه يفهم مما تقدم أن الاجماع لاينعقد إلا بجمع عدد كبير من المجتهدين على مسألة من المسائل ؛ غير أن الفقهاء يرجحون أن يكون أقل عدد للاجماع ثلاثة لأنهم أقل الجماعة ، فاذا لم يكن هناك مجتهدون غيرهم تحقق الاجماع باتفاقهم. وهناك رأى يقول بأنه إذا لم يوجد غير مجتهد واحد فى عصر من العصور يتحقق الاجماع باجتهاده وحده

ولننتقل الآن إلى السند الذى يقوم عليه الاجماع على قول الأئمة الأربعة . يقوم الاجماع على الكتاب أو السنة أو القياس ويقول المعتزلة بأنه لايصح أن يكون الاجماع مبنيا على حديث الآحاد أو على القياس، وزادوا على ذلك أن سند الاجماع يجب أن يكون قاطعا بمعنى أن حكمه لا رجعة فيه .

نرى مما تقدم أنه من الخطأ القول بأن الاجماع أصل مستقل عن غيره من أصول الاسلام. فالاجماع حقيقة هو الاجتهاد الذى وافق عليه جميع مجتهدى العصر الواحد أوغالبيتهم . ومن المتفق عليه أنه فيما عدا اجماع الصحابة يجوز الرجوع فى اجماع مجتهدى العصر الواحد باجماع غيره فى عصر آخر . والواقع أنه كان من العسير اجماع المسلمين بعد عصر الصحابة حيث انتشر المسلمون فى أقطار الأرض ولم يتيسر عمليا إشغالهم جميعا فى وقت واحد لبحث مسألة من المسائل وتقرير حكم فيها. كما أن الأمر لايستلزم إشغال مجتهدى القطر الواحد كلهم فى وقت واحد لبحث هذه المسألة . ونحن لا ننكر قوة اجماع كل المجتهدين أو غالبيتهم فى مسألة من المسائل على اجتهاد مجتهد واحد . غير أن هذا لا يمنع أنهم غير معصومين ويمكن الرجوع فى أحكامهم . والاجماع فى الواقع لم يخرج عن كونه اجتهادا بمعنى أعم شأنه شأن الاجتهاد فى امكان الرجوع فى أحكامه فى أى وقت من الأوقات

ويمكننا القول بأن معظم مراتب الاجماع ليست حجتها قاطعة ويجوز مخالفتها وعدم الأخذ بها خلافا لما يظنه كثير من المسلمين . فالاختلاف الشريف فى الرأى أمرلا يستوجب مؤاخذة صاحبه . وقد ورد عن الرسول أنه قال «خلاف امتى رحمة للناس» وإن زعم بعض المحدثين أن هذا الحديث ضعيف إلا أنه ينطبق على الواقع ، ففيه وصف بأن الاختلاف فى الرأى رحمة إذ أن ذلك يشجع الناس على استعمال ملكة العقل للبحث وراء الحقيقة، وقد اختلف الصحابة أنفسهم فى الرأى . وهناك من الحوادث ما جهرها الشخص الواحد بكل جرأة فى مخالفته لرأى الجماعة. فقد ورد عن أبى ذر قول خالف فيه رأى الصحابة جميعهم ومع ذلك لم يقل أحد بأنه قد ارتكب اثما لمخالفة رايه للاجماع . وقد شجع الرسول المجتهدين فى الرأى بأن لهم جزاءهم عند ربهم حتى ولواخطأوا فقدورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذاحكم الحاكم فاجتهد وأصاب فله أجران وإذاحكم فاجتهد واخطأ فله أجر واحد

الاجتهاد ثلاث مراتب

يقول الفقهاء المتأخرون بأن الاجتهاد على ثلاث مراتب ولو أن ذلك ليس له أصل فى الكتاب والسنة أو كتب الأئمة الأربعة . وهى اجتهاد فى الشرع، واجتهاد فى المذهب. واجتهاد فى المسائل. والاجتهاد فى الشرع قاصر على القرون الثلاثة الأولى . وقد اختص بها الأئمة الأربعة الذين وضعوا القوانين الشرعية كلها وفق ما نقل عن الصحابة والتابعين . وطبيعى أنه لم يذكر صراحة أن باب الاجتهاد فى هذه الناحية قد أقفل بعد القرن الثانى للهجرة إلا أنه قيل أن الشروط اللازمة لمثل هؤلاء المجتهدين لم تتوفر لأحد بعد الأئمة الأربعة. وقيل أيضا أنها ان تتوفر لأحد بعدهم حتى يوم القيامة . وهى وجوب أن يكون المجتهد محيطا بالكتاب متنا ومعنى وحكما وأن يكون محيطا بالسنة كذلك متنا وسندا عالما بحال الرواة ، وأن يكون محيطا بالقياس قادرا على استنباط علل الأحكام من النصوص الخاصة والعامة . وليس هناك من سبب يدعو إلى القول بأن هذه الشروط لم تتوفر إلا فى الأئمة الأربعة فى القرن الثانى للهجرة

وذكروا أن الاجتهاد فى المذهب مختص بمحمد وأبى يوسف من اتباع أبى حنيفة. وزادوا على ذلك بأنه يجب الأخذ برأيهما حتى ولو تعارض مع رأى الامام أبى حنيفة

والاجتهاد فى المسائل قد اختص به الفقهاء المتأخرون الذين توصلوا إلى حل مسائل لم يسبق أن أثيرت من قبل بشرط أن يكون الحل مطابقا تماما لآراء خيار المجتهدين . وقد قيل أيضا إن باب هذه المرتبة من الاجتهاد قد أقفل بعد القرن السادس الهجرى . وقيل أنه لم يبق فى عصرنا هذا غير المقلدين والمقلدين وهو قول بلا حجة وليس من طريق العلم لاقى الأصول ولا وفى الفروع . ويمكن للمقلدين أن يعطوا فتاوى مستمدة من أحكام المجتهدين المتقدمين إذا كانت هناك آراء متعددة واختاروا واحدا من هذه الآراء وافتوا به بدون تعليق أو ترجيح

نرى مما تقدم أن الاجتهاد الذى لم يقل أحد من الأئمة الأربعة واتباعهم بأنه حجة قاطعة قد أصبح مقيدا من الوجهة العملية ولم يمكن لأحد أن يكون أهلا للاجتهاد فى هذا الوقت . وسنتم إن شاء الله باب الاجتهاد فى مقالنا اللاحق وهو يتضمن الكلام على أن باب الاجتهاد لم يوصد . وعن استقلال الفكر .

محمد سعيد العمر

صوم رمضان

بين العلم والأدب

للاستاذ ضياء الدخيلي

— ٢ —

ويقال إن ابا تراب النخشبي خرج من البصرة إلى مكة فوصل اليها على أكلتين أكلة بالمباح (في معجم البلدان ذو النباح هضبة من ديار فزارة كذا جاء في كتاب الحازمي) وأكلة بذات عرق (قال في القاموس المحيط وذات عرق في البادية ميقات العراقيين. وفي مجمع البحرين وذات عرق أول تهامة وآخر العقيق وهو عن مكة نحواً من مرحلتين وهو الموضع الذي وقت لأهل العراق في الحج) وقال ابو سليمان الدراني: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع. قالوا وكان سهل بن عبد الله التستري إذا جاع قوي، وإذا أكل ضعف. وكان من الصوفية من يأكل كل أربعين يوماً أكلة واحدة. قالوا واشتهى ابو الخير المسقلاني السمك سنين كثيرة ثم تهيأ له أكله من وجه حلال، فلما مد يده ليأكل اصابت اصبعه شوكة من شوك السمك فقام وترك الأكل وقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة إلى الحلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى الحرام؟ وفي الكتاب العزيز (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فالجملة الأولى هي التقوى والثانية هي المجاهدة. وقال ابراهيم بن شيبان ما بت تحت سقف ولا في موضع عليه غلق اربعين سنة. وكنت أشتهي في اوقات ان اتناول شبعة عدس فلم يتفق؛ ثم حملت الى وانا بالشام غضارة (هي كما في المنجد القصعة الكبيرة (فارسية) فيها عدسية فتناولت منها وخرجت فرأيت قوارير معلقة فيها شبه انموذجات فظننتها خلا، فقال بعض الناس أتنظر الى هذه وتظنها خلا؟ وانما هي خمر، وهذه انموذجات هذه الدنان لدنان هناك، فقلت قد لزمني فرض الانكار، فدخلت حانوت ذلك الخمار لأكسر الدنان والجرار فحملت إلى ابن طولون فامر بضربي مائتي خشبة وطرحني في السجن فبقيت مدة حتى دخل ابو عبد الله الزبالي المغربي استاذي في ذلك البلد فعلم اني محبوس فشفع في فاخرجت اليه فلما وقع بصره علي: قال أي شيء عملت؟ فقلت شبعة عدس ومائتي خشبة فقال لقد نجوت مجانا.

قال ابن ابي الحديد واعلم ان تقليل المأكول لاريب في انه نافع للنفس والاخلاق، والتجربة قددلت عليه، لأنا نرى المكثر من الاكل يغلبه النوم والكسل وبلادة الحواس، وان كثرة الأكل تزيل الرقة وتورث القسوة والسبعية. ولكن ينبغي ان يكون تقليل الغذاء إلى حد يوجب جوعاً قليلا، فان الجوع المفرط يورث ضعف الأعضاء الرئيسية واضطرابها واختلال قواها، وذلك يقتضي تشويش النفس واضطراب الفكر واختلال العقل ولذلك تعرض الأخلاط السوداوية لمن أفرط عليه الجوع، فاذن لا بد من اصلاح امر الغذاء بأن يكون قليل الكمية كثير الكيفية فتؤثر قلة كميته في انه لا يشغل النفس بتدبير الهضم عن التوجه إلى الجهة العالية الروحانية، وتؤثره كثرة كيفيته في تدارك الخلل الحاصل من قلة الكمية. ويجب أن يكون الغذاء شديد الأملاء للاعضاء الرئيسية لانها هي المهمة من أعضاء البدن، وما دامت باقية على كمال حالها لا يظهر كثير خلل من ضعف غيرها من الأعضاء.

وأعلم أن الرياضة والجوع هي امر يحتاج اليه المزيد الذي هو يعد في طريق السلوك إلى الله، فان كان انقطاع الغذاء يسيراً وإلى حد ليس بمفرط لم يضر ذلك بالبدن كل الاضرار وكان ذلك غاية الرياضة التي اشار اليها امير المؤمنين علي (ع) بقوله (حتى دق جليله ولطف غليظه) وإن أفرط وقع الحيف والأعجاف وعطب البدن ووقع صاحبه في الدق والذبول وذلك منهي عنه لأنه قتل النفس، فهو كمن يقتل نفسه بالسيف والسكين» هذا ما شرح به عبد الحميد بن ابي الحديد المتزلي لكلام الأمام (ع) وقد زانته الثقافة الاسلامية في ذلك العهد أي آخر حكم العباسيين وقد شهد الشارح سقوط بغداد بيد التتار وكانت العلوم التي نقلت الى العربية في صدر الدولة العباسية قد ينعت وأزدهرت ثمارها في اواخرها وذلك في عهد ابن ابي الحديد ومعاصره نصير الدين الطوسي

ولقد وجدت من المتعارف في العراق في رمضان (وأظنه في باقي الأقطار الإسلامية أيضا) أن يكثر الصائمون نهاراً الأكل ليلا فاذا وفد هذا الشهر على المدينة وفدت معه أفانين الأطعمة

وأنواعها وتفننت المطابخ فى تنويع الأكلات حتى انقلب شهر الصوم والجوع إلى فترة تهم وتخمة وقد سألت مرة أستاذى فى (الكيمياء الحيوية) فى كلية الطب العراقية (المستر هوكنز) عن رأيه فى الصوم فأثنى عليه من الوجهة الصحية والتهذيبية غير أنه انتقد المسلمين لافراطهم فى الأكل ليلا مما يتعب الجهاز الهضمى . ولا ريب أنه مصيب فان للامعاء قابلية محدودة فى استيعاب الأغذية بحيث تتاح لعصاراتها الهضمية فرصة التأثير على مكونات الغذاء من زلاليات ودهنيات ونشويات وغير ذلك وفى حالة الأفراط المتعارف ليلا عند الصائمين تتعب الأمعاء وتمتلىء للنهاية ولا تعود الغدد الهضمية قادرة على تزويد قطع الغذاء وأجزائه بما يحلله كيماوياً من الخمائر الهضمية وتتعب المعدة وتتوسع ولا شك أن ذلك يؤدى إلى أن ينتاب المرض ذلك البطن الجشع النهم ولله در الأمام على رع) إذ قال (كم من أكلة تمنع أكلات) لقد أخذ هذا المعنى بلفظه ابن الحريرى فقال فى المقامات (يا زب أكلة هاضت الآكل ومنعته مآكل) وأخذه ابن العلاف الشاعر فقال فى سنوره يرثيه

أردت أن تأكل الفراخ ولا ... يأكلك الدهر اكل مضطهد
يا من لذيد العراخ أرقمه ... ويحك هلا قنعت بالقدد
كم أكلة خامرت حشاشره ... فأخرجت روحه من الجسد

والقدد جمع القدة وهى السير يقد من الجلد والقطعة من الشىء وتنطبق أبيات ابن العلاف هذه ليس على السنور فقط بل على (بعض الشيوخ) الذين يجدون فى رمضان ميداناً فسيحاً للفتك بفراخ الدجاج فى الولائم الرمضانية .. وفى المثل (أكلة أبى خارجة) قال اعرابى وهو يدعو الله بباب الكعبة اللهم ميتة كميتة (أبى خارجة) فسألوه فقال أكل بدجاً وهو الحمل وشرب وطبا من اللبن (والوطب هو سقاء اللبن) وتروى من النبيذ وهو كالحوض من جلود ينبذ فيه (نبذ النبيذ عمله) ونام فى الشمس فمات فلقى الله شبعان ريان دفيئا . والعرب تعير بكثرة الأكل وتعيب بالجشع والشره والنهم وقد كان فيها قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية بن أبى سفيان قال أبو الحسن المدائنى فى كتاب (الأكلة) كان معاوية يأكل فى اليوم أربع أكلات أخراهن عظيمة ثم يتعشى بعدها بثريدة عليها بصل كثير ودهن قد سبخها (أى غطاها) وكان أكله فاحشاً وكان يأكل حتى يستلقى ويقول يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكن مللت . وان هؤلاء المفرطين فى الأكل خير علاج لهم الصوم الذى يلطف أجسامهم ويذيب الشحوم الزائدة ويريح جهازهم الهضمى ولاريب ان هذه الطائفة من الناس وطأة رمضان ثقيلة على نفسها ثقيلة على بطنها .

نقل أبو هلال العسكرى فى (ديوان المعانى) وكان فرغ من تأليفه سنة ٣٩٥ هـ قال حدث الصولى عن أبى عبيدة قال أسلم اعرابى فى أول الأسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الأعرابى يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلا علينا ... شرائعه سوى شهر الصيام

وقال ابن قتيبة الدينورى فى (عيون الأخبار) قدم اعرابى ابن عم له فى الحضر فأدركه شهر رمضان فقيل له يا أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان قال وما شهر رمضان قالوا الأمساك عن الطعام قال أبالليل أم بالنهار قالوا لا بل بالنهار قال أفيرضون بدلا من الشهر قالوا لا قال فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا تضرب وتحبس فصام أياماً فلم يصبر فارتحل عنهم وجعل يقول :

فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمى وقد زرت مصرهم ... تهيأ ابا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابى ومزودى ... سلام عليكم فاذهبوا بسلام
فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر ... على ولا مناع أكل طعام

وقول ابن قتيبة الدينورى فى هذه الحكاية (انه ان لم يصم ضرب وحبس) ينافى ماتقله الشيخ نعمان الألوسى فى (غالية المواعظ) فى انه ذكر فى (البزازية) أن من أكل فى شهر رمضان متعمداً يؤمر بقتله ، لأن صنيعه الفاحش دليل الاستحلال وأن الصوم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ولذلك يكفر جاحد .. وقيل لأعرابى أدركك رمضان فقال لأقطعنه بالأفطار وأدرك أعرابياً شهر رمضان فلم يصم فعذلته امرأته فى الصوم فزجرها وانشأ يقول

اتأمرنى بالصوم لادر درها ... وفى القبر صوم يا امير طويل

ولا ريب ان لهؤلاء الأعراب اشباها ونظراء فى المجتمع الأسلامى ممن ضعفت إرادته وانغمر فى حبه النهام شهى الاطعمة . وإن رمضان من انفع الأدوية لهؤلاء الضعاف النفوس وهم أحوج

المسلمين إلى صرامة تأديبه حتى يقوم معوجهم غازياً ضعفهم النفسي بتهاويل عقوباته الاخروية في جهنم الطافحة بالويل والثبور الكثيرة الافاعي الجبارة والعقارب الرعبة وفيها القيود الملتهبة والمقامع من النار ، هذا مضافاً إلى غضب جبار السماوات كل هذه العقوبات المخيفة واقفة بالمرصاد لمن يفطر شهر رمضان متعمداً الفسق والفجور مضافاً ذلك إلى عقوبة السلطة الدينية فيسوق الأسلام الخير لهذه النفوس الضعيفة ويلجمها عن الطعام فترة من الزمن فيصلح من ابدانها بالعنف والجبر ويلزمها الأقتصاد والتقليل من اسرافها في الأكل التعب لجهازها الهضمي، فكأن رمضان علاج كريه الطعم ، ودواء مر المذاق، تساق اليه النفوس المريضة سوقاً؛ وكأن الأسلام قد خص شهر رمضان بالصوم لترويض النفس والتغلب على رغباتها الأمارة بالسوء فهو بمثابة تدريب عسكري يشترك في القيام به افواج المسلمين في فترة معينة من الزمن أو تمارين رياضية لتقوية النفس وتقويم الروح وتهذيب الاخلاق

وللصوم فائدته الكبرى في علاج ضعف الأرادة في اولئك الذين لا يستطيعون ان يقاوموا اهواءهم وشهواتهم فهم مستسلمون لها راضخون لأحكامها تجد الفرد من اولئك يدفعه استرساله في سيره خلف شهواته السادرة في بيداء الضلال — فركب أسوأ الكبائر فاندفع الى شرب الخمر وانجر الى المقامرة بعد ان زلت بقدمه المغريات لأول وهلة فاصبح كالذي غاصت قدماه في حمأة من النار فكبلته وعاقته عن السير ولم يستطع أن يتخلص من شرها . وكثيراً ما كان على علم بسوء مغبة ماهو فيه ولكنه لا يستطيع ان يقاوم لضعف في إرادته ووهن في عزيمته ؛ ولربما رأى الخير في شيء ورأى وجوب عمله ، ولكن خانته إرادته فاستسلم وقد كبله الكسل وقعد به الضعف وسيطر عليه الخمول فحاول الأسلام وهو دين الأصلاح والعمران — أن يعالج ضعف الإرادة بالرياضة كما يتقوى الجسم بالرياضة البدنية والعقل بالبحث العميق الدقيق، فبالزام النفس المسلمة بالصوم الذي يتطلب مشقة وجهداً تتقوى الإرادة وتتعود ان تتغلب على المصاعب والعقبات وتشعر النفس بالارتياح في مغالبة الصعاب وخضد شوكة الرغبات الجامحة والتغلب عليها كما يشعر ذو الجسم القوي بالارتياح عند قيامه بتمرين شاق من الألعاب الرياضية ونجاحه فيه .. وكل مجهود يبذل في مقاومة هوى أو قمع شهوة ثم يؤول الى التغلب عليها يكسب الأرادة قوة . ولا ريب أن الصوم من اجلى مظاهر هذا العراك مع النفس الأمارة بالسوء فاذا استطاع المرء أن يقودها إلى النهاية شعر بتغلبه على أهوائها وقدرته على الرضوخ والمثابرة على الأعمال الشاقة حتى نهايتها

وهناك ناحية اخرى في الصوم يراها طائفة من الفلاسفة والصوفية الذين يجدون لذة في ارهاق النفس وتعذيبها وحرمانها ويرون مع يوسف بن أسباط انه (لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق) فهم يريدون ان يخيفوا القلب بعذاب جهنم اللواحة بالشرر فيدرأوا مرضه باجباره على الصوم ويقللوا من الشهوات البارمة التي فيها البلاء والدمار. وهم يرون ان الاسترسال في اللذات والشهوات جريمة لا تغتفر؛ فعلى المرء أن يقمعها ويلجم النفس بالصوم عنها ان هؤلاء الصوفية يجدون الفضيلة في حرمان النفس مما تشتهيه وصدم رغباتها واهوائها .

روى ابن ابي الحديد أن ابراهيم الخواص قال : كنت في جبل فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان، فرأيت رجلا مطروحاً قد اجتمع عليه الزنابير فسلمت عليه فرد علي باسمي : فقلت كيف عرفتني؟ : قال من عرف الله لم يخف عليه شيء : فقلت أرى لك حالاً مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك من اذى هذه الزنابير. فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك ويحميك الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ؛ ولدغ الزنابير يجد الانسان ألمه في الدنيا: فتركته ومضيت على وجهي) ونحن نرى أن الفكرة التي تحكيها هذه القصة بعيدة عن روح الأسلام وهي اشبه بعبادة البراهمة من الهنود وتعذيبهم نفوسهم منها بروح التعاليم الأسلامية. ولا ريب أن الأسلام تأثر كثيراً بعبادات الأمم التي دخلته – وعلى كل حال فان الناس تجاه لذات الحياة أصناف، فمنهم من دعا الى الزهد ، وقمع الشهوات : قال الماوردي في (أدب الدنيا والدين)(ان شهوات النفس غير متناهية ، فاذا اعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها الى شهوات استحدثتها فيصير الانسان اسير شهوات لاتنقضي وعبد هوى لاينتهي ومن كان

بهذا الحال لا يرجى له صلاح) وأن طائفة من المتقشفين كما يقص علينا الدكتور احمد أمين في (الأخلاق) ترى ان ارقى أنواع الحياة الاخلاقية ما حوربت فيها الشهوات، وهؤلاء لا يتزوجون مثلا ولا يأكلون اللحوم ويعتزلون الناس جهدهم ولا يمكنون النفس من مأكل انيق أو مقعد وثير أو ملبس جميل .

وقد شنع (سنيكا) وهو من الفلاسفة أتباع الرواقيين وكان في صدر الدولة الرومانية (٦ق م — ٦٥ ب م) لقد شنع هذا الفيلسوف على من يشرب الماء مثلجا في ايام الحر : وقال قد انتزع الترف من القلوب ما كان بها من موارد الشفقة وأسباب العطف حتى صارت أشد برداً وقسوة من الثلج والجليد ،، فكأن هذا الفيلسوف يومي بتمود جشوبة العيش وكأنه يرمق في حديثه كلمة النبي (ص) المأثورة (اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم) ولكنه أفرط وشط عن الطريق السوي. اما كلمة النبي (ص) فقد جاءت جامعة مانعة فيها عظة وتحذير ونبها تلويح الى ما حدثنا به التاريخ من انقراض امم هلكت لأمراقها في الترف كما وردت الآثار عن مصرع الأمبراطورية الرومانية واضمحلالها بداء الترف .

ومالك تذهب بعيداً حسبك ان ترجع الى تاريخنا العربي فان الأمة الأسلامية عند ما حادت عن تعاليم الأسلام وانغمرت في الترف وفساد الحياة الحضرية ذهبت منها صفات الرجولة ومعالم البطولة وماعت أخلاق بنيها فقامت عليها الأمم التي عنت من قبل لسطوتها فاستعبدتها . لقد انغمر آباؤنا في نعيم البلاد التي افتتحوها ونسوا وصية النبي (ص) بلبس جلد النمر لحوادث الدهر وكوارث الزمن وانغمروا في الترف فحق عليهم ماحذرهم منه المنقذ الأعظم (ص) فانقرضوا وعزت دولهم وذهبت ريحهم وعادوا عبيداً بعد أن سادوا بالأسلام شرق الأرض وغربها. ولا ريب ان في الصوم مظهرا من مظاهر الأخشيشان وفيه قوة تطبع النفوس على غرار الرجولة والبطولة وتشربها القوة والصبر والجلد . ولنعد الى حديث مذهب اولئك الفلاسفة الذين أغرقوا في تعشق جشابة العيش وخشونة الحياة وقد قال ارسطو المعلم الأول : الفضيلة وسط بين رزيلتين: الافراط والتفريط. وفي الحديث الشريف خير الأمور أوسطها وفي الكتاب العزيز خطاباً للمسلمين (جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) قال بعض اعلام الأسلام — كما في مجمع البحرين للطريحي — كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان كالسخاء فانه وسط بين البخل والتبذير ... وبعد فقد أفرط البعض وبالغ جماعة من الزهاد فلم يكتف بعضهم بقمع الشهوات بل تعداها إلى تعذيب النفس بالقيام بالشمس في أشد ساعات الحر والتمرغ على الرخام في الشتاء وغير ذلك من أساليب عنيفة نسمع بها كثيراً عن عبادات الهنود الشاذة المبنية على هذه الفلسفة الخاطئة

ويعتقد بعض هؤلاء انهم بتعذيب النفس الصارم القاسي ترتفع نفوسهم وتعلو الى درجات عالية في العرفان والقدسية وتنفتح لها ابواب الأطلاع والارتقاء عن مستوى البشر، الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة والمذاهب الباطلة. ويسمي هؤلاء اسلوبهم هذا في ادراك المعرفة بطريقة الاشراق ويسمون انفسهم الأشراقيين كما ذكره لنا أستاذنا في الفلسفة الأسلامية في النجف الاشرف (البنجردي) عند دراستنا عليه شرح منظومة السبزواري في الفلسفة. ويرى الدكتور أحمد أمين في كتاب (الأخلاق) ان هذا مذهب أكثر المتنقين له من الناقمين على الحياة المتشائمين من كل شيء في الوجود المصابين بفقر الدم الذين ضعفت شهواتهم لضعف أجسامهم. وقد يرى هذا الرأي أيضا من قويت صحته وكمل جسمه واشتدت شهواته ولكن كانت إرادته أشد وسلطانه على نفسه أقوى وأقوى ما يكون ذلك إذا أتى من ناحية الدين ... والزاهد في الحقيقة ليس يرفض اللذة لأنها لذة بل هو يرفضها للذة اخرى أكبر منها في نظره . هذا مايقوله (خليفة بن خلدون) ويؤيده ما رأيت في شرح النهج لابن ابي الحديد المنزلي من قول الخواص (من ترك شهوة فلم يجد عوضها في قلبه فهو كاذب في تركها) ...

ومن الزهاد من يرفض ان ينعم بالأكل الشهي ونحوه لانه يرى ان الاستمرار في طلب اللذائذ يسبب آلاما إذ تصبح النفس شرهة، اطماعها كثيرة، وآمالها واسعة، وكلما نالت منها الكثير طمعت فيما هو أكثر منه، ثم هي تتألم الآلام الشديدة لما حرمت وتتجرع مع ماتنال غصصاً من الآلام. اضف الى ذلك ان كثرة التمتع باللذة يفقدها قيمتها ويذهب برونقها وجمالها. ويرى هؤلاء ان شعور الانسان بأنه قادر على حرمان نفسه يرفعه فوق حوادث الزمان فلا تصبح لها القدرة على اخضاعه، وهذا الشعور يحرره من ربقة الخوف وهو شعور فيه من اللذة ماليس في اللذات الجسمية :

للكلام بقية

ضياء الوضيلي

من الأشعار العربية

الشعر العربي في حضرموت

للأستاذ أحمد طه السنوسي

البيئة الحضرمية بيئة عربية قحة ، وهذه أول ميزة وأول موجه للشعر الذي يقال فيها وينشده شعراؤها في حيزها ، والميزة الثانية قد نتجت عن الميزة الأولى ، فنحن نجد أن التخاطب في حضرموت بلهجة تقرب من اللهجة المصرية . ونجد في التخاطب الحضرمي أنه يستعمل ألفاظا عربية أصيلة كثيرة مما لا نحس له وجودا في تخاطب البلدان العربية الأخرى ، ومما لا يذكر إلا في المعاجم عادة ، ويرجع ذلك إلى امتداد الصبغة العربية القحة منذ فجر التاريخ الحضرمي إلى اليوم . ولم يستطع التطور الحديث أن يقتحم بقوته فيقضي القضاء كله على النزعة العربية والصبغة العربية الأصيلة في هذا البلد الحضرمي ، وعلى هذا فليس من عجب إذا ما ألفينا الشعر الحضرمي أقرب الأشعار العربية إلى الأشعار القديمة وخاصة الجاهلية ، وتلك ظاهرة لا يجد المرء نصبا في استشفافها والوقوف عليها حين اطلاعه على أشعار الحضارمة ولا يغيب عنا أن شاعرنا الكبير امرأ القيس نشأ في زمنه في هذا القطر وقال شعره فيه ، فبيئة حضرموت إذاً بيئة الشعر منذ أقدم عصوره وبيئة التفنن منذ فجر تاريخه كما أنها بيئة العربية ولهجاتها ومصادرها .

ولا نستطيع أن نقول إن الشعر الحضرمي الحديث قد بلغ شأوا بعيدا وذروة رفيعة من المجد الشعري الحديث على الرغم مما أبداه في عالم اللفظ من جمال وقوة ، وما وصل إليه في عالم الوضوح من الرق والرفعة ؛ وذلك أرجعه إلى علل وأسباب أهمها أنه لا يتأثر إلا قليلا بالثقافة الحديثة ، وأنه يغرق في اللفظ وضخامته وفخامته ثم يذر للنواحي الأخرى بعض الاهتمام ، وهذا البعض يطوح به الأسلوب حينا ويتقاضى عنه الشاعر نفسه أحيانا .

ثم إن هذا الشعر الحضرمي لا يمكن أن يجد فيه العربي خارج حضرموت لذة وجمالا ، وإنما يجد هذه الأشياء الحضرمي في الذي يعيش البيئة الحضرمية فوق أرضها وتحت سمائها ، وهذه البيئة لا يستسيغها بالطبع ذلك العربي خارج حضرموت ، وبالتالي فتأثيرها على الشعر جعل هذا الشعر غير مستساغ في الجو العربي الخارجي . وبالرغم من أن هنالك شعراء تخلصوا من هذا الحيز ومن تلك السيطرة فأمكن لنا ولغيرنا أن نجد في شعرهم لذة وجمالا وأخذنا نقبل عليه بزيدنا شوقا إليه أن فيه الروح العربي الصميم مما لا نكاد نجد له المثيل في الاغراق في الشعر العربي الحديث نظراً لتأثر هذا الأخير بالثقافة الحديثة والتطورات الزمنية والبيئة الموجهة

على أننا نجد أن هنالك في حضرموت ككل بلد عربي شعراً شعبياً يدعى (بالشعر الحميني) وهذا النوع ينتشر في حضرموت ويرتقي ويجد رواجا كبيرا ، غير أنه أيضا قد تأثر إلى حد بعيد بالصبغة العربية القوية للشعر الحضرمي ، فلولا اللهجة وتحريفها وأساليبها لأضحى شعرا حضرميا قحا .

ثم إننا نلحظ شيئا هاما في الشعر الحضرمي وذلك هو الصبغة الصوفية والنزعة الفقهية ، ونحن لو درسنا الشعب الحضرمي وبيئته واتجاهاته نجد أن هذه الصبغة وتلك النزعة متأصلتان فيه ، بارزتان واضحتان في أفكاره ومناحيه ، فلا غرابة أن يبرزها إلى درب الشعر لتجد مسلكا جميلا للبدو والانتشار ، ولا غرابة أن يبديهما في ثوب الشعر لتستطيعا أن تجدا طريقهما إلى التأثير الصحيح والفائدة المطلوبة منهما ، ولكن هناك فارقا هاما بين هذه الصبغة وتلك النزعة في الشعر الحضرمي وبينهما في الشعر العربي القديم ؛ ذلك لأنهما في الشعر الحضرمي لا يزيدان على كونهما غلالة شفيفة تعكس هذا الشعر دون أن تطغى على لباس اللفظ ورداء الشعر وإن طغت في بعض الأحايين على رداء المعنى ؛ وذلك لأن المعنى نفسه ليس في المرتبة الأولى إذا قسناه باللفظ في ذلك الشعر ، فالمعنى لا يهتم به كثيرا سواء أضاعه اللفظ أو غشته غلالة الصوفية وكساه النزعة الفقهية ...

لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نغمط الشعر الحضرمي حقه الواضح في بلوغ ذروة عالية حين يحدثنا عن الألم ودواخل النفس وتأثرات الشعور فانه بهذا يجمع إلى جمال الوشي استثارة الشاعر ويضفي على الوصف الدقيق وعلى تصوير الدواخل والدوافع والاحساسات جميل اللفظ وبديع الأسلوب فيأتي بشعر جميل حقا

يقرأه المرء فيجد فيه صدقا واخلاصا فى التصوير وتشويقا فى العرض وجلالا وجمالا فى الادلاء والأبداء .

ويقول الشعر الحضرمى فى كل الأغراض التى قال فيها الشعر القديم ، ويهمه أن يدلف درب ذلك الشعر ويحذو حذوه ، ولا ينسى فى بعض الأحايين أو يشاركه فى الدمن والاطلال والاهتمام بالتحريد وذكر الآلات والأشياء المحيعة من بيئته الحضرمية .

ولدل أهم الأمور التى جعلت الشعر الحضرمى على جلالة قدره ورفعة مرتبته غير معروف وغير مدروس فى عالمنا العربى أن أغلبه لا ينشر ولا يجمع ، فهى البيئة الحضرمية التى تتداوله بالرواية وتعلى عليه المحول فلا يأخذ طريقه للنشر أو طريقه لذيوع ودرس فى الحلقات الخارجية من الجو العربى . وما ينقصه إلا أن يعترف بأهمية القومية العربية الشاملة فى قصائده ويهتم بها أن يقلل من اخلاصه للجاهلية من ناحية وأن يساير ركب المدنية ولا يبخل بالثقافة الجديدة والتطور الجديد أن يلج سدته ويهز سرجه بلجامه إلى الأمام ... وها كم بعض الأمثلة :

قال الشيخ عبد الصمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله باكثير الكندى فى شكوى الحظ العاثر :

أراني إذا ما الليل جاشت كتائبه ... أبيت وقلبي حائر الفكر ذاهبه
أقضيه بالأشجان والهم والأسى ... ودمع على الأرجان يسهل ساكبه
تبيت أفاعى الهم فى غيهب الدجا ... تساور قلبى بالمنا وتواثبه

وقال أيضا :

يا عاذلى دعنى وشأنى إن لى ... قلبا بتير الحب لا يستأنس
كيف السلو عن الأحبة بعد ما ... دارت على من الصبابة أكؤس

ويقول متألما

خذ من قديم حديثي مبتدا سقمى ... وما أقاسى من الأوصاب والألم
فبتدا خبرى فعل اللواحظ من ... عيون خشف رمت سهما أراق دمى
رمى فشك الحشا من نبل مقلته ... بغير شك وقد أوهى قوى همى
فطار يومى وبات الهم يقلقنى ... ومهجتى لظى الأشجان فى ضرم
وخالف النوم أجفانى وحالفها ... طول السهاد فلم أهدأ ولم أنم
محى الغرام سلوى واستباح دمى ... هوى الاغن فسرى غير منكتم
، فى الظلام أنين كلما سجعت ... ورقاق أرقت فوالهفى رواندى

ورق لى كل من بالليل يسمعنى ... فمن لصب عميد باللحاظ رمى

ويقول السيد شيخ بن عبد الله العيدروسى العلوى فى قصيدة رثاء :

تقضى فتمضى حكمها الأقدار ... والصفو تحدث بعده الأكدار
والدهر أبلغ واعظ بفعاله ... وكفى لنا بفعاله انذار

وهو القائل فى توسلية له :

يا من لقب بالصبابة ممتلى ... وأضالع يلظى القطيعة تصطلى
من ذا لما بى كاشف إلاك يا ... من قد مددت له أكف توسلى

ويقول السيد محمد مولى الدويلة العلوى :

الحب حبى والحبيب حبيبى ... والسبق سبقى قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادى مسرعا ... وغطست فى بحر الهوى وغدى بى
لى تسعة وثلاثة مع تسعة ... والعقد لى وحدى وزاد نصيبى

ويقول محمد بن أحمد بن يحيى بن أبى الحب الخطيب الأنصارى من محادثاته الشعرية :

تجنب أرضك الوبأ الوخيم ... وجانب سوحك السدم السديم

ومنها :

عجاج مياهها فيه شفاء ... إذا عجت على الأرض الغيوم
نسيم جنوبها أبدا صحيح ... وطبع الجو فيها مستقيم
وطبع مياهها فى الصيف برد ... وأيام الشتاء هى الحميم
تعادل حرها والبرد فيها ... فلا برد يضر ولا سموم
وطبع البرد فيها فيه لطف ... بطيب نسيمه تنمو الجسوم

ويقول الأمير محمد بن على الكثيرى :

إن جئت (عينات) فى ثراها ... واستنشق العرفان من رباها
والصق جبينك بالتراب مقبلا ... شكرا لمن أولاك ثم ثراها
بلد أقام بها الكمال وحبذا ... بلد غدا الغوث العظيم حماها
واستقبل الشيخ المعظم خاشما ... فى ذل نفس كى تنال مناها .

ويقول السيد عبد الله الحداد العلوى فى حديث نفسى :

ألا يا نفس ويحك كم توانى ... وكم طول اغترار بالمحال
وكم سهو وكم لهو وهزل ... وكم ميل إلى دار الزوال

وكم شغل بما لا خير فيـه وكم حرص على شرف ومال
وكم تلوين عن محمود فعـــل وكم تقعيس فى قبيح الفعال

وقال أيضا :

أنا مشغول بليـــلى عن جميع الكون جله
فإذا ما قيـل من ذا قل هو الصب الموله
أخذته الراح حتى لم تبق فيـه فضله
راح أنسي راح قدسى ليست الراح المضله

هذه بعض الأمثلة من ذلك الشعر راعينا فى انتقائها تصوير الواقع وتسجيل الوجود علنا نستخلص من ذلك بعد كل هذا أن فى حضر موت شـــعرا عربيا جديرا بالعناية قمينا بالالتفات والاهتمام .

أحمد ط السنوسى

دفاع عن البلاغة

للاستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البـلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المرو العامية ، الأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا اجرة البريد

المسنـــد

للإمام أحمد بن حنبل

أوسع كتب السنة ، وأكثرها شمولا واحاطة . لا يستغنى عنه العالم المحقق ، ولا الطالب المجتهد . وهو حجة للمحدث ، والفقيه ، والمؤرخ ، وصاحب اللغة . ألفه إمام المحدثين وزعيم أهل السنة وقدوتهم ، وجعله مرجع العلماء وحجتهم ، حتى لقد قال لابنه راوية وهو يوصيه « احتفظ بهذا المسند ، فانه سيكون للناس إماما » .

وهذا (الديوان الاعظم) بحر لا يدرك مداه ، أعجز أكثر العلماء أن يصلوا إلى غوره حتى وفق الله له الشيخ أحمد محمد شاكر المحدث المصرى فصنع له الفهارس الدقيقة المتقنة ، من علمية ولفظية ، وشرحه شرحا فنيا على أوثق القواعد العلمية التى ميز بها الحفاظ صحيح الحديث من ضعيفه ، ليكون مرجعا حقا لكل طالب وعالم .

ثم كان من توفيق الله وحسن صنعه لهذا (الكتاب الحجة أن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، أسد الجزيرة وإمام أهل السنة فى هذا العصر ، الملك الامام (عبد العزيز آل سعود) أطال الله بقاءه ، شمله برعايته السامية الكريمة حبا فى نشره واحيائه ؛ وتقربا إلى الله بعموم النفع به . فأصدر أمره العـــالى بطبعه على خير ما يستطاع من الاخراج والاتقان .

فنفذ الشارح الأمر الملكى المطاع بطبعه فى أجزاء متتالية ، طبعة ممتازة خاصـــة ، وطبعة شعبية عامة ليعم النفع به كل الطبقات .

٨٠ قرشا ثمن الجزء الواحد من الطبعة الممتازة
٣٠ » » » » » الشعبية

ملتزم الطبع والنشر
دار المعـارف بمصر

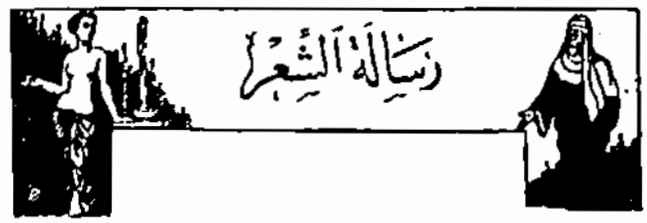

على ضفاف الجحيم ..

للأستاذ صالح على شرنوبى

« إليك يا قاهرة . إلى أضوائك القاسية التى طالما عذبت »
« عينى . وأنا قابع هناك .. فى الجبل المضياف .. بصخوره »
« الحانية .. وكلابه العاوية ... وصمته الكئيب ... »
« ثم إلى هؤلاء الترفين الكسالى . الذين ينكرون على »
« إيمانى بالألم ... وعبادتى للدموع .. وإخلاصى للأحزان »

إنى هنا .. أيتها المدينه ..! الحرة الفاجرة المجنونه .. !
أحبس فى جفنى الرؤى السجينه والأدمع الواهمة السخينه
إنى هنا .. أغربل السكينه وأزرع الخواطر الحزينه
ملء ضفاف الوحدة المسكينة وفى يدى فجر ... ستعبدينه

يوم تزول المحنة الملعونه

إنى هنا .. فعربدى .. وثورى ملء عنان اللهو .. والسرور
ومزقى بضحكك المخمور غلالة ينسجها تفكيرى
ليستر العريان من شعورى ويحجب اللافح من سعيرى
الغاضب المدمر الضرير يود لو يعصف بالقصور
وساكنيها .. عابدى الفجور النائمين فى حمى الحرير
الناقمين عن أسى الفقير ولوعة الشرد المدحور
الوالغين فى الدم المهدور من عصب الكادح .. والأجير
إنى هنا .. يا جنة الحقير آكل جوعى .. وأضم نيرى
وليس لى فى الأرض من نصير إلا ضميرى .. آه من ضميرى
ليسى ممزق الستور وجاه بى — حيا — إلى القبور
أقرأ فى ظلامها مصيرى وأعرف النهاية من مسيرى
بعد احتراق الأمل الأخير وفرقة الصاحب والعشير
هذا أنا .. فى العالم الكبير فوق ربى المقطم المهجور
منخذا من أرضه سريرى من الحصى . والطين . والصخور
وتحت سقف الأفق المسطير والعاصف المربد المقرور
أنام .. نوم العاجز الموتور على نباح الكلاب . والهرير
وقهقهات الرعد فى الدجور تسخر من عجزى ومن قصورى
ومن ضراعاتى إلى القدور وقلبى المحطم الكسير
وأنت .. يا زنجية الضمير تدرين قدرى .. وترين نورى
فتفجرين ضحكة الغرور وترتدين كفن المقبور !
هازئة .. كالزمن العبور من المثالى الفتى الطهور
فاهزئى .. فلست بالمقهور ولتغرقى هزءا .. فلن تثيرى
إلا دخان الحاقد المسعور وثورة المقيد الأسير
ولن تعيشى فى فم الدهور إلا بفن الشاعر القدير
الحائر المضطرب المغرور تحية الخالد إلى العصور
وآية الجبار .. فى الجبور ونفحة الأقداس فى الماخور !
الواحة السجواء .. فى الهجير تشرب نار الفدفد المسجور
لترسل الظل إلى المحرور !

إنى هنا .. أيتها المدينه .. ! الحرة الفاجرة المجنونه . !
أحبس فى جفنى الرؤى السجينة والأدمع الواهمة السخينه
إنى هنا .. أغربل السكينة وأزرع الخواطر الحزينه
ملء ضفاف الوحدة المسكيته وفى دى فجر .. ستعبدينه
يوم تزول المحنة الملعونه

صالح على شرنوبى

(وفـــاء)

للاستاذ محمد محمود جلال بك

أصابر نجمى من أشهر خان الماد على « دادر »
على ربوة خضلت خضرة تظل على أزرق أخضر .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

جناية الفلسفة على العقول

جناية الفلسفة على العقول أمر لم نكن نؤمن به حتى أثبت لنا الدكتور الأهوانى أنه حقيقة لا تقبل الجدل ... إذا لم تصدق فاعلم أن هذا (الفيلسوف) قد آثر أن يشكونا إلى النيابة العامة بدلا من أن يشكونا إلى روح طيب الذكر وبنيه ديكارت !

وجناية الفلسفة على العقول قد تحققت بالنسبة إلى الدكتور الأهوانى مرتين : الأولى حين أوهمته (فلسفته) أنه يستطيع أن يكون أديباً يشارك فى هذا الذى يشارك فيه الأدباء ، وناقدا يخوض فى هذا الذى يخوض فيه النقاد ... والثانية حين ألهمته هذه الفلسفة أن لقاءنا فى ساحة النيابة أسلم عقبة له من لقائنا على صفحات الرسالة ! ولم يفكر الدكتور الأهوانى طويلا لأن منطق الفلسفة الأهوانية لا يعترف بمبدأ الإحجام عن أى أمر من الأمور ... ومن هنا قرر (الفيلسوف) أن يكون أديباً رغم أنف النقاد ، وعلى الذين لا يعترفون بمكانته الأدبية أن يواجهوا النيابة العامة !

ولم يكن هناك بد من أن نواجه النيابة العامة ، أتدرى لماذا ؟ لأننا لم نشر إلى « الفيلسوف الأديب » بأطراف البنان وإنما أشرنا إليه بأطراف اللسان ... ولعلك قد أدركت بفطنتك ما تحمل الإشارة الأخيرة من معان !!

وننتقل بك إلى مرحلة التحقيق أو مرحلة العقوبة والتطبيق ... ولا تعجب إذا قلنا لك إننا قد رغبنا إلى المحقق فى أن يمهلنا بعض الوقت ، ليكون للضحك الساخر أو للسخرية الضاحكة أوفى نصيب ! وكيف لا نضحك والدكتور الأهوانى يدفعنا إلى الضحك دفعاً ويفرضه علينا فرضاً وكأنما يريد أن يشغلنا بفكاهاته عن حر السيف ووطأة الصيام ؟ سمها إن شئت فكاهة الفلسفة أو فلسفة الفكاهة .. وقد تتفلسف الفكاهة أحيانا فلا تعبأ بمنطق ولا تؤمن بقاعدة ولا تخضع لشىء من هذا الذى تخضع له العقول !

هذه الفكاهة المتفلسفة عمادها فى شكوى الدكتور الأهوانى أننا قد تهجمنا على مكانته العلمية وأستاذيته الجامعية ، وأنه لا تكافؤ بين الناقد والمنقود ... فالناقد أنور المعداوى ليس دكتوراً حتى يحق له أن يتهجم على دكتور فى الآداب ، وليس أستاذا فى الجامعة حتى يحل له أن يتطاول على أستاذ فى الجامعة ، وفى هذا الاعتداء المنوى ما يعاقب عليه القانون أو ما يجب أن يعاقب عليه ! تواضع عظيم . وحسبك دليلا على هذا التواضع أن الدكتور الأهوانى لم يشأ أن يتشدد مع النقاد ، ولو شاء لطلب إلى النيابة العامة أن تطبق القانون على كل ناقد يتعرض له . إذا ثبت أن هذا الناقد لم يحصل على جائزة نوبل فى الآداب !

تجازى البحيرة عن صنعها ... وتزكو الصنيعة بالشاكر
كقائد جيش لدى موكب ... يرد التحية للعسكر
تباركت يا رب من مبدع ... تجلى بآياتك للمفكر
وقصر تناهت له روعة ... يمد خيالك « للأقصر »
كخاطب قوم سما منطقا ... يسوق العظات على المنبر
به ما اشتهيت وفوق المنى ... فحاسب مناك وقل أقصرى
بخدمة قوم صباح الوجوه ... هم غرة فى بنى الأصفر
على أدب زان منهم حجى ... يقل الثناء على المكثر
تألق فيه وداد مضى ... فناجاه الودود به واذكر
فعيني تقسر برقه المصيـ ... ـف وقلبى يهفو لديسمبر
إذا البرء جادك حيى الضنا ... فبيمك حتم لكى تشترى
كذا العمر جدب بغير الوفاء ... فلا نضر العيش للغادر
« فندلدر » تحنو على « زورخ » ... « وزورخ » تزهو على « دلدر »(١)

محمد محمود جبريل

(١) فندق « دلدر » يقع على ربوة تعلو مدينة زيورخ بمائتى متر وهى ترتفع « أى زيورخ » أربعمائة متر — وبهذا الفندق قضيت الأيام التى تعقب العلاج عادة بمياه يلوبير فى فرنسا وكان قد مضى على وقت طويل لم أقل شعرا ، وكان هذا المكان موضع الالهام

تواضع عظيم لا شك فيه ... ومنطق عظيم لا شك فيه أيضا ... وآية العظمة فى هذا المنطق أن كانبا له مكانته كالأستاذ العقاد لا يجوز له مثلا أن ينقد صاحب الفلسفة الأهوانية ، لأن شرط التكافؤ بين الناقد والمنقود يارعاك الله .. غير موجود . ولا يستطيع الأستاذ العقاد أن يدعى بأنه دكتور فى الأدب أو دكتور فى الفلسفة ، أو يزعم بأنه أستاذ فى جامعة فؤاد أو جامعة فاروق ... هكذا تريد لنا الفلسفة الأهوانية

دكتور فى الفلسفة وأستاذ فى الجامعة ... هذا حق لا يمكننا أن نجادل فيه ، ولكن بقى حق آخر لا يحتمل المناقشة ، وهو أن « الدكتوراه » التى يحملها الدكتور الأهوانى كانت أول دكتوراه فيما نعلم يحصل عليها صاحبها مجردة من مراتب الامتياز ودرجات التفوق ... ترى هل يستطيع أن يجادلنا فى هـــذا الواقع الذى شهدناه بأعيننا يوم أن نوقشت رسالته ، وقد كانت عن « التعليم فى رأى الغابسى » ؟ !

أعلم الظن أنه لا يستطيع .. ومع ذلك فهو دكتور يزهى علينا بالدكتوراه ، وأستاذ فى الجامعة يفخر علينا بالأستاذية ، ثم لا يجد ضيرا من أن يجهر بعدم التكافؤ بين الناقد والمنقود ... أو بين المداوى والأهوانى !!

إن الحصول على الدكتوراه فى مصر ليس أمراً عسير المنال كما تتوهم الفكاهة المتفلسفة ، وبخاصة إذا روعى فى الحصول عليها ذلك « التواضع » الذى يحرص على أن تكون الألقاب العلمية مجردة من تفوق المراتب والدرجات ...

هذه كلمة نرجو أن يقرأها الدكتور الأهوانى بعناية ... ونحن فى انتظار بلاغ آخر يتقدم به إلى النيابة العامة !

أزمة القراء وعصا الأستاذ الحكيم

« قالت العصا : هل رأيت هذه المكتبة العامرة بالكتب فى أشهر ميادين القاهرة ، كيف تحولت أخيرا إلى حانوت للمرطبات ؟! إن صاحبها هو صاحبها لم يتغير . ولكنه قلب نفسه بكل بساطة من « كتبى » إلى « شربتلى » ! .. وعندما سئل فى ذلك قال : الناس لا يريدون اليوم عسير الذهن .. إنهم يريدون عسير الليمون !

قلت : هذا صحيح مع الأسف .. وهى ظاهرة خطيرة تستحق العناية والعلاج .. فان انصراف الناس عن غذاء العقل نكبة كبرى لأمة فى طريق التحضر ... وما قيمة التعليم فى أمة إذن ، إذا كانت نتيجته تخريج زبائن للمشارب لا للمكاتب ؟! إن أرقى درس وأهم كسب للطالب فى المدرسة ، ليس فى تلك المعلومات المحددة لأنها ستنسى حتما بعد حين ، ولكنهما فى غرس ملكة المطالعة التى ستلازمه فى كل حين ... لا خير ولا نفع فى أرقى المدارس والجامعات إذا خرج منها الطلاب يلعنون كتبهم ويختمون على رءوسهم ... بينما الطالب الذى ينشأ فيه حب المطالعة والاطلاع تنشأ فى نفس الوقت جامعة كبرى نفسه ، تزوده بالمعارف المتجددة طوال أيام حياته ... ذلك واجب المدرسة الأول : تعلمنا حب القراءة ... وتمرن عضلاتنا الفكرية على هضم أغذية العقل ... ثم تدفعنا إلى الحياة نزدرد ثمرات الذهن ...

قالت العصا : حقا .. إن الإنسان يولد زبونا بالفطرة لعسير الليمون ... ولكنه لا بد أن يعد إعدادا ليصير زبونا لعسير الذهن ! »

هـذا هو الحوار البديع الذى دار منذ أيام على صفحات « أخبار اليوم » بين صديقنا الفنان الكبير الأستاذ توفيق الحكيم وبين عصاه ... وأزمة القراء التى شغلت قلم الصديق فأجرت مداده بهذه الكلمات الطافحة بالمرارة والفياضة بالأسف ، مشكلة عرضنا لها بالأمس على صفحات الرسالة محددين أسبابها الأصيلة ودوافعها الطبيعية ، معبرين عن مظاهر الأسف والمرارة كما استشعرها الأستاذ الحكيم !

ولا نذكر أننا التقينا مرة — توفيق الحكيم وأنا — إلا وعرجنا على هذه المشكلة وخصصناها بأكثر ما ينقضى بيننا من وقت وأغلب ما يدور بيننا من حديث .. إنها مشكلة من مشكلات الساعة بلا جدال : جيل ينصرف عن القراءة المفيدة إلى فنون من اللهو والعبث لا تنفع ولا تفيد ، ويضيق بعصارة الفكر التى تطفىء ظمأ العقل وترطب جفاف القلب ليقبل على كل ما من شأنه أن يذبل نضارة العقول ويطلق منافذ القلوب ...

هذا الجيل ماذا حدث له ، وماذا نفعل من أجله ، وكيف نهديه إلى مسالم الطريق ؟ إننا نستطيع أن ننفذ إلى مكامن الداء في جسم هذا الجيل المريض، ونستطيع أن نضع أيدينا على مصدره ونستطيع بعد هذا كله أن نصف العلاج الناجع والدواء المفيد .. نستطيع أن نفعل هذا الذي قلناه ، ولكن المشكلة التي تواجهنا ويتحول معها الأمل إلى يأس هي طبيعة المريض نفسه ، طبيعته العقلية والنفسية ، هذه الطبيعة التي لا تؤمن بقيمة الدواء ولا بجدوى العلاج ولا بنصائح الطبيب !!

وأين هو الطبيب المنتظر الذي يحمل الدواء الى المريض في يد «والكرباج» في أخرى ، حين يكون الكرباج هو السبيل الوحيد إلى الاقناع ؟! أن هو ليجرع المريض العنيد عصير الذهن بدلا من عصير الليمون ، فإذا امتنع من تجرع الدواء ألهب ظهره بسوط الجلاد ؟! نحن محتاجون إلى عهد الكرباج ليقرأ الناس .. ولا شيء غير الكرباج يستطيع أن يقنعهم بأن الجد خير من الهزل، وأن الثقافة أفضل من الجهل ، وأن النور أجمل من الظلام !

كل هذه الخواطر التي نسجلها في هذا المكان حول أزمة القراء ، كنا ننتهي إليها وينتهي الأستاذ الحكيم كلما جمع بيننا لقاء .. ويقول الأستاذ الصديق ذات يوم وكأنما اهتدى إلى علاج : ألا يكون ارتفاع أثمان الكتب سببا من الأسباب الجوهرية في انصراف الناس عن القراءة ؟ وتقول له رداً على ملاحظته المفلفة بإطار من الإيمان : لا تظن .. فالقارىء الذي يريد أن يبسط عقله لا يقبض يده ! ثم إن الكتب يا صديق ليست هي الشيء الوحيد الذي ارتفع ثمنه في هذه الأيام، كل شيء قد ارتفع ثمنه وغلا سعره ، ومع ذلك فما أكثر ما يقبل الناس ومنهم المتعلمون على الشراء ينفقون الجنيهات على المتعة الزائلة ويضنون بالقروش على المتعة الباقية .. ينفقون على متعة الجسم والنظر ويضنون على متعة الذهن والروح .. مائة قرش يدفعها الشاب الجامعي ثمنا لرباط رقبة ، وعشرون قرشاً يستكثرها ثمنا لأثر من آثار الأدب والفن، ومن هنا عمرت محال «الكرافتات» وافقرت من روادها المكتبات !

ويهز توفيق الحكيم رأسه هزات المؤمن بما نقول ، ولكنه يريد أن يجعلها تجربة ليحكم في ضوء الوقائع المادية لا الآراء النظرية .. ولم تمض أسابيع حتى أصدر الصديق مجموعتين من قصصه حدد لكل منهما ثمنا قدره عشرة قروش بدلا من خمسة وعشرين وعلى الرغم من أن توفيق الحكيم هو أكثر كتاب الشيوخ إقبالا من القراء ، فقد كانت نتيجة اليوم هي نتيجة الأمس .. عشاق فنه وحدهم هم الذين أقبلوا على شراء قصصه الجديدة ، نعني أن القروش العشرة لم تجتذب قارئا جديدا لتضمه إلى قائمة قرائه المعجبين ! والسبب .. هو أن الذي يهوى القراءة ويعشق الاطلاع لا يهمه أن يكون ثمن الكتاب عشرة قروش أو مائة أما أولئك اللاهون والتافهون من رواد المراقص والمقاهي والحانات ، فلن يقرأوا ولو حددنا أثمان الكتب بالمليمات !!

هذه حقيقة آمن بها توفيق الحكيم بعد التجربة كل الإيمان.. ويقول لنا بعد أن عاد من رحلته الأخيرة إلى باريس - ما أعجب القوم هناك ! إن حياتهم حياة .. وحسبك أن العين قلما تقع على فتى أو فتاة من غير كتاب .. الكتاب دائما يطالعك في أيدي الناس حيثما ذهبت : في القهوة ، والبيت ، والشارع ، والترو ، وحلبة السباق .. لا يكاد يصرفهم عنه لهو أو متاع ، في بلد كل ما فيه لهو ومتاع . صدقني ما أحسست بمدى الفارق بين الموت والحياة إلا بعد أن رجعت إلى مصر ، وقارنت بين حال القراء هنا وحالهم هناك !

ولم نكن محتاجين إلى أن يقص علينا الأستاذ الصديق هذا الذي رآه ، لأن بعض الحقائق تلمس بالعقل إن عز لمسها على الأنظار والأسماع .. ومن هذه الحقائق الملموسة بالعقل أن القارىء الفرنسي يلتهم الكتب التهاما ليضيف إلى عمره أعمارا أخرى من طريق القراءة والاطلاع ، ولولا هذا لما كانت الطبعة التي بين أيدينا من أحد كتب سارتر هي الطبعة الثالثة والتسعين .. ولا ننس أن الطبعة الواحدة تقدر في حساب الناشرين بعدد من الألوف !!

هذا في فرنسا ، أما في مصر ... فقد حدثنا الأستاذ الحكيم عن قصة صاحب المكتبة العامرة بالكتب في أشهر ميادين القاهرة وكيف تحولت إلى حانوت للمرطبات ... وعندما سئل الرجل في ذلك أجاب : الناس لا يريدون اليوم عصير الذهن ... إنهم يريدون عصير الليمون ... ويا له من جواب ذلك الذي يعيد إلى الأذهان اسطورة نهر الجنون !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

بين صديقي وبيني أو بين مصر وأمريكا

أخي عباس

صحت نبوءتك فتعافيت لا بفضل mrs ferro صديقتك الحسناء ولكن بفضل انتقالي من سان فرنسيسكو برياحها الرطبة المتغيرة أبدا ، إلى مدينة صغيرة في وسط الوادي تسمى « palo alto » وقد شممت فيها رائحة مصر فتعافيت !

أذكر أنك كتبت مرة عن الربيع وشعراء الربيع في مصر. أنا أوافقك على الشطر الثاني ، أوافقك على أن شعراء الربيع في مصر « عرة ! » أما إنحاؤك على جو مصر ، وترابه وعفاره ... الخ فأؤكد لك أنه « بطر » بنعمة الله ! هنا أمريكا التي ينشرون دعوة طويلة عريضة عن جوها وبخاصة جو كاليفورنيا ، لا تقاس بشيء إلى مصر . ولا تسمع ما يقوله بعض الرقعاء عن جو فرنسا فبين يدي الآن رسالة من شاب مصري غير مخدوع ، يعيش في فرنسا مفتوح العينين ، يحدثني عن التقلبات والأنواء ، ويتمنى نسمة مصرية ، وهذا هو ما أتمناه أنا كذلك !

إننا ننقص من قدر أنفسنا حتى في الطبيعة ، أما الأجانب فيعرفون كيف يقومون بالدعاية لبلادهم ليجلبوا اليها الناس ، لغرض « مادي » هو الحصول على نقد أجنبي . وإن كان الذين زاروا مصر منهم يخجلون أن يقيسوا بلادهم اليها .

إننا نملك أشياء كثيرة ولكننا لا ننتفع بها ولا نستغلها ... هذه هي المسألة ، فاذا أحيينا باللائمة فلننح لائمتنا على بلادنا ، ولكن على تلك الحفنة الجاهلة المريضة الأنانية التي تتولى أقدارها ، ولا تؤدي لها خدمة ما ، ولا تستغل كنوزها ، سواء كنوز الطبيعة الأرضية أو كنوز الطبيعة البشرية .

إننا نملك طاقات من الذكاء الخارق — حين نقارن شعبنا إلى شعب كالأمريكاني — ولكننا نهمل هذه الكنوز بالجهل والأمية والفقر المدقع القاتل لكل موهبة ، وذلك لتستمتع حفنة من « الباشوات » و « الكروش » بترف لا تعرفه القرون الوسطى .

هذا هو عيبنا ؛ أما طبيعة بلادنا ، وطبيعة شعبنا فهما فوق مستوى الشبهات .

قولوا — أيها الكتاب — للشعب حين تكتبون : إن المتحكمين فيكم يقبرون نبوغكم ويدفنون مواردكم ، وأنتم تملكون ما لا يملكه شعب آخر في هذا الوجود .

وتحياتي اليك وإلى اللقاء .

أخي — بعد أن كتبت لك هذا وقرأته رأيته يصلح للنشر والتعليق ، فاذا رأيت أن تجعله موضوع تعليقك فأنت في حل من نشره . . .

سيد قطب

أسارع أولا فأبين مسألة « صديقتي الحسناء » مسز فرو ... لأنها تمس السياسة الداخلية في بيتي ... المسألة أن إحدى رسائلي إلى الصديق الذي أوحشنا وصلت اليه وهو في المستشفى فلفت نظر الممرضة الحسناء — كما يقول — ما عليها من طوابع مصرية مختلفة الألوان : أخضر وأحمر وأصفر ... فأعجبت بهذه المجموعة العجيبة ، ولعلها أعجبت أيضا بخطي الرديء المكتوب على الظلاف ! فاحتفظت به ... ومالي في ذلك يدان !

ليست هذه الرسالة الوحيدة ، من رسائل الاستاذ سيد قطب إلي ، التي تضمنت بعض الموضوعات العامة ، فقد كتب مرة يقول: تصلح أمريكا أن تكون « ورشة العالم » فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون أما أن يكون العالم كله كأمريكا ، فتلك هي كارثة الانسانية بكل تأكيد . فكتبت اليه فيما كتبت : إني يا أخي لا أرى لدينا روحية محبوبة ، فنحن ماديون كالأمريكيين ، وكل ما بيننا من فرق أن ماديتهم منظمة ونحن في فوضى ، فجاء رده : لمحت في رسالتك إلى أنك « فرفان » من مصر ، ولهذا استرحت إلى ما أكتبه أنا عن أمريكا ! انني حين أكتب عن أمريكا ما أحسه من حقائق لا أعني أنني راض عن الحياة في الشرق وما فيها ، ولكن هناك

شيئا واحداً لا يصح أن نغفله ، إن أمريكا تستخدم كل رصيدها الممكن ، وإننا نهمل رصيدنا فنبدو مفلسين ! إن الحاضر الواقع في بلادنا لا يرضى أحدا ولكن الممكنات أمامها كثيرة لو وثقنا في أنفسنا وفي رصيدنا الممكنون ، وهذا هو مفرق الطريق ، ولو أنك عشت في أمريكا بعض الوقت كما عشت لحدث للشرق روحه رغم هذا الخمول الذي يعانيه .

وأنا أوافق الصديق الكريم على ممكناتنا ومكنوناتنا وأومن معه بشعبنا ومواهبه المقبورة ، ولكنني أرى أن تلك « المكنونات » قد أصبحت كمحتويات دار الآثار نتحدث عنها ونطيل الحديث ولا شيء وراء ذلك ، أما المواهب المقبورة أو كنوز الطبيعة البشرية المهملة في مصر فأمرها ظاهر ودواؤها يبدو معضلا ، وإذا كانت حفنة الباشوات والكروش تتحكم وتستغل فإن « حفنات » من الوصوليين يتخذون الأسباب المختلفة إلى أولئك ، يسيرون في ركابهم ويصعدون إليهم وغير ذلك من أساليب ، فيكتانون ويستوفون ، وهناك مئات من ذوي الكفايات يقعد بهم الحياء وتحتجنهم الكرامة ، فيهملون ... وبذلك تحرم البلاد من خير أبنائها وأوفرهم حياء وكرامة ، ويحرمون هم مما تلغ فيه الكلاب !

ولا أريد أن ألج في المقارنة بيننا وبين أمريكا ، فإن الأستاذ سيد — بحكم وجوده هناك — أدرى منا بما يقول ، ولكن من حق أن أكون « قرفان » من جانب حالتنا التي لا تسر ... والتي لا أجد فيها « روحا » . وقل لي بالله يا صديق : ما قيمة « الرصيد » الذي لا نستطيع أن ننفق منه ، وما فائدة « المكنون » في دار العاديات ؟

والاحظ أن الصديق الكريم يحتاج به حنين شديد إلى الوطن ، فهو يتمنى نسمة مصرية ، وهو يتمنى حين يشم جوا كجو مصر . ولعل لهذا الحنين دخلا في إشادته بجو مصر ولعل شوقه إلى حلوان الدافئة الجميلة المهملة ... هو الذي أثاره على كاليفورنيا ، ولعل بعده عن مصر في هذا العام الذي كثرت فيه التقلبات الجوية عندنا هو الذي جعله يظن أن

كشكول الأسبوع

▫ رفع بعض خريجي كلية الآداب الحاصلين على الدكتوراه ، قضية أمام مجلس الدولة ، ضد مدير جامعة فؤاد الأول وعميد كلية الآداب ، لأن الجامعة منحت السيدة سيدة اسماعيل الكاشف الدكتوراه من درجة ممتاز « مع مرتبة الشرف الأولى » ويقولون إن هذه الرتبة ليست موجودة في تقديرات الدكتوراه بالكلية ، إذ أن أقصى هذه الدرجات درجة ممتاز .

ومما يذكر أن السيدة هي قرينة عميد كلية الآداب ، وقد عينت مدرسة بالكلية .

▫ هدد أساتذة الجامعة ، وكذلك أساتذة كليات الأزهر ، بعدم إظهار نتائج الامتحانات ، حتى ينظر في مطالبهم الخاصة برفع مرتباتهم . والواقع الذي لا يحمد أن التبع في جميع العهود أن يفضي أولو الأمر بتصريحات يستكرون فيها مثل هذا السلك ويعدون بالنظر في الأمر بعد الهدوء والاستيتاب ، ثم ينظرون في الأمر فعلا ويحققون ولو بعض المطلوب . وهذا ترتيب غير طبيعي ، إذ يجب أن يقع الأمر الأخير أولا فيكون الأخير أيضا .

▫ جاء في « ما قل ودل » بأهرام يوم الجمعة الماضي : « لا تزال النساء رائحات غاديات في سيارات الحكومة » ولا شك أن الأستاذ الصاوي يريد « غاديات » فسبق القلم أو أخطأت المطبعة .

▫ أخرجت لجنة النشر للجامعيين كتاب « أرض الخطايا » وهو مجموعة قصصية للأستاذ أمين يوسف غراب ، يتغلغل الكاتب بها إلى أعماق النفوس ، وينتصر فيها للانسانية المعذبة ، وهي تدل على فن وأصالة .

▫ جمعت هيئة الشعراء في أمريكا مبلغا من المال لإصلاح مقبرتي الشاعرين الانجليزيين شيللي وكيتس ، والكنيستان في المقبرة البروتستانية بروما .

▫ احتفل أخيرا في « دلهي » بذكرى ميلاد غالب (ميرزا أسدالله خان) شاعر الغزل المتوفى سنة ١٨٦٩ ، فأقيم مهرجان شعري برياسة سفير الأفغان في الهند ، ووضعت الأزهار على قبر الشاعر .

سان فرنسيسكو هي ذات الرياح الرطبة المثيرة أبدا .

وسلام عليك أيها الصديق العزيز ، وإلى اللقاء في قديمك القريب .

مسرحية « صرخة النساء »

هي المسرحية الثانية التي قدمتها الفرقة المصرية في هذا الأسبوع على مسرحها الصيفي بحديقة الأزبكية . كان قد كتبها بالزجل المرحوم عثمان جلال مقتبساً من موليير ، ولم تقدم على المسرح المصري قبل الآن على رغم أنها كتبت منذ زمن غير قليل . وقد أخرجها الأستاذ زكي طليمات المدير الفني للفرقة ، وقام بالأدوار الرئيسية فيها فؤاد شفيق وعمر الحريري وزوزو الحكيم

والمسرحية تدور حول رجل سيء الظن بالنساء لكثرة ما سمع من نوادر خياناتهن ، وهو لذلك قد أتى بفتاة رباها من من صغرها معزولة الا عن خادم وخادمة ، ذاهبا الى أن عدم تعليمها وجهلها بأمور الحياة وعدم اختلاطها بالناس ، تحفظها من الزلل وتصونها نقية طاهرة ، وهو يعتزم أن يتزوج منها ، فيأمن شر النساء المتعلمات المجربات ... ولكن القدر يسوق إليه أو إليها فتى وسيما في مستهل الشباب ، يتصل بها ، ويساعد جهلها « وخاميتها » على أن تسمعه بالوصال وتلبي نداء الهوى وهي لا ترى في ذلك أي شيء غير طبيعي . ويصمق الرجل ويحاول أن يحول بين الشاب والفتاة في غير جدوى . وينتهي الأمر بأن يظفر الفتى بفتاته ويتركا الرجل في حسرته .

ويظهر لي أن موضوع المسرحية كان يتجه إلى تصوير غدر النساء وكيدهن وعدم استطاعة التخلص مما يدبرن . ولكن الإخراج وجهها بعض التوجيه نحو قضية أخرى ، هي قضية القلب الإنساني والطبيعة البشرية ، فإن الفتاة لم تلتفت إلى الشيخ الذي رباها في بيته ولم تعر حبه أي اهتمام ، وجذب الشباب بصرها وغزا فؤادها ، ففتح قلبها ، وتفتق عقلها . حتى غدت تحسن التحايل والتدبير من أجل الاتصال بحبيبها الشاب ، وكان نصيب الشيخ الخيبة والإخفاق ، لأنه أراد أن يقف في وجه الطبيعة ويعترض مجراها . وهذا الاتجاه هو الذي يوافق التفكير العصري ويتمشى مع تحليل البواعث النفسية التي لا تغير مجراها الحكم والمواعظ .

ولكن المسرحية مع ذلك ظلت مشدودة إلى الفكرة الأولى بحبل أسلوب الحوار وهو الزجل ، وكانت تلك الفكرة (كيد النساء) أقرب إلى الأذهان في ذلك الزمن الذي وضعت فيه المسرحية ، ومن هنا نرى جهد الإخراج الذي بذل في تحويرها حتى جاءت ملائمة للروح العصري .

وقد تتابعت فصول الرواية الثلاثة على المسرح في منظر واحد تحايل الأستاذ زكي طليمات على جعله منظرين : أحدهما داخل المنزل والثاني خارجه أمام الباب ، وذلك باسدال ستار يفصل الداخل عن الخارج ، وبذلك كانت تنتقل الحوادث من أحد المكانين إلى الآخر انتقالا سريعا يشبه الانتقال السينمائي . ولكني ألاحظ أنه جعل الرجل يلقي الشاب (الذي لم يكن يعرفه) وغيره من الناس أمام الباب ، ويتحدث معهم حديثا يطول ويقصر دون أن يدعوهم إلى الدخول إلا في المنظر الأخير . وأظن أنه كان يمكن أن يجعل الرجل والشاب يلتقيان في مكان آخر بعيد عن البيت كقهوة مثلا ، ويكون ذلك أوفق من خارج المنزل الذي كان كان يلتقي فيه الفتى والفتاة !

وقد صورت لنا المسرحية الفتاة على أنها جاهلة يراها الشيخ أحسن من المتعلمة وأسلم منها لأن الثانية تكتب إلى عشيقها الرسائل ، ثم رأينا الفتاة نفسها تكتب إلى حبيبها ، ورأيناها تقرأ الرقعة التي احتوت النصائح التي قدمها إليها الشيخ ! فأين تعلمت القراءة والكتابة وهي نفسها تقول في الحوار إنها لم تذهب إلى معلم ولا (كتاب) ؟ نعم إنها قالت في الحوار إن الحب علمها ونور عقلها ، ولكن هل الحب يعلم القراءة والكتابة بدون معلم ؟

وقد كان فؤاد شفيق عصب الفكاهة في التمثيل بتعبيرات صوته ووجهه وحركاته ، ونهض عمر الحريري بدوره ، غير أني أنتظر منه أن يكون مبرزا في دور الشاب المحب أكثر من ذلك . أما زوزو الحكيم فقد كانت حقا الفتاة « الخام » بصوتها وحركاتها وإن كان وجهها غير معبر .

عباس خضر

فى السرقات الأدبية

كان المغفور له الشيخ حمزة فتح الله مولعا بالغريب فى شعره ونثره ، حتى لقد أصبح قوله الألغاز والمعميات ، وأغرت هذه الخلة به صديقه شاعر الجمال المرحوم إسماعيل صبرى باشا ، فنظم قصيدة بأسلوبه وعلى طريقته فى شكوى شركة « كوك » البحرية ، وأعطاها إلى صديقه شيخ المروبة المرحوم أحمد زكى باشا فكتبها مزوراً خط الشيخ فتح الله الذى كان ينزع إلى محاكاة إملاء أهل المغرب ، وبعث شيخ المروبة بالقصيدة إلى صحيفة « المؤيد » فنشرتها فى صدرها ، وأحدثت بطبيعة الحال دوياً ، واستمرت رجفتها شهراً كاملا يتفاقل الأدباء أبياتها معجبين لأنهم لا يكادون يفهمون منها شيئا لشدة ولع « عميد المفتشين » بالغريب وحوشى الألفاظ . ونذكر من هذه القصيدة العجيبة هذه الأبيات الثلاثة :

أيا يذا (الفنصل) المزجى زواجره
صوب السفين وثوب السوس سربله
أشكوك (كوكك) كى نيكف عن نكب
إذ كان كلا وكل مل كلكله
أباتنى والجرشى حشوها ضجر
إن مس شقى خشب الفلك قلقله

ولما طالع الشيخ حمزة فتح الله القصيدة فى صدر (المؤيد) أعجب بها إعجابا شديداً ، وحين هنأه عليها أصحابه لم يقبل التهنئة فقد كان رجلا ورعا تقياً وإنما قال « هذا الكلام كلامى ولكنى ما قلته » . ولما أطلع على أصل القصيدة فى إدارة الصحيفة قال « وهذا الخط خطى ولكنى ما كتبته » وبقى الأمر سراً حتى توفى الشيخ حمزة وعندئذ أفشاه شاعر الحب والجمال !

ونحن إذ نروى هذه القصة إنما نريد منها أن نعرف متانة خلق رجل من أعلام البيان أبى عليه ورعه أن ينسب لنفسه كلاما لم يقله ، وما كان ضره لو هو سكت ، وبخاصة أن صبرى باشا الشاعر لم يكن بالرجل المشنع الكثير الكلام ، وقد أراد رحمه الله أن يداعب شاعراً آخر من شعراء زمانه ، فأرسل إلى إحدى الصحف قصيدة مهجورة بتوقيعه - توقيع الشاعر لا توقيع صبرى باشا - ثم لفيه من غده فهنأه بالقصيدة ، فقبل الشاعر التهنئة شاكراً !

فذانك برهانان ، تورع الشاعر فى أولهما أن ينسب لنفسه ما لم يقله وما لم يكتبه ، وفى الآخر لم يجد الشاعر بأساً من سرقة أدبية هبطت عليه من السماء !

وعندنا أن السرقات الأدبية تسامت إلى حد كبير السرقات المادية واتجاه التشريع إلى حماية الملكية الأدبية اتجاه محمود ، وسارق « القصيدة » الذى لا يعاقب أنكى جرماً من سارق « الدجاجة » الذى يقضى فى السجن عدة أشهر . ولو أننا بالغنا فى حماية الملكية الأدبية لخلقنا جيلا من الأدباء مهذبا لا يتجانف لإثم سرقة الأفكار والآراء

وأحسبنى أرسلت فى « الرسالة » كلمة قبل بضع سنين أعتب فيها على الدكتور زكى مبارك أن نسب لنفسه هذه القولة « الشهرة كالمال بعضها حلال وبعضها حرام » وقلت له إن هذه المقالة البليغة إنما هى من كلام المرحوم الشيخ يوسف الدجوى ، فرجع الرجل إلى الحق وكتب معتذرا ولم يكابر ولم يصاول .

وكان صديقنا الأستاذ كامل كيلانى - ولا يزال - برى وجوب حفظ الحق الأدبى لصاحبه ، ولو كان هذا الحق يتصل بملحة أو نكتة أو « قفشة » فلا ينسب المرء لنفسه كلاما سمعه من أحد ، وإنما يرد القول لقائله على طريقة رواة الأحاديث ، ولو أن هذه الطريقة اتبعت ما كذب أحد على نفسه ولا على الناس .

***

بيد أننا منينا فى هذه الأيام بالسرقات الأدبية تترى علينا فى صورة كتب تنشر أو مقالات تكتب ، ولقد كنا نبصر فى زمن مضى بالسرقات الأدبية تنصب على الموتى وحدهم ، غير أننا نرى فى هذه الآونة السرقات الأدبية قسمة قسمة عادلة بين الأحياء والأموات ، وما نحب أن نذكر أسماء فنلفت التشهير قصدنا ، ولكنما نريد أن ننبه وأن نذكر قبل أن يستشرى الداء ويعسى العلاج شيئا بعيد المنال .

اشتراك فى الجريمة!

للكاتب الفرنسي بول بورجيه

بقلم الاستاذ كمال رستم

... قابلت .. إدم ريمون ـ على إفريز محطة ميلان بينا كنت أصعد فى أحد هذه القطارات التى يصفها الايطاليون فى زهو « بالبرق » مع انك تجد نفسك متأخراً ساعتين فى مسافة قدر زمانها خمس ساعات ... وكيف تحزن ؟ إنك إن شكوت أجابوك وقد جرت على شفاهم ابتسامة آسرة قائلين. « إنه القدر الايطالى » أيسخرون من أنفسهم أم يسخرون منك .. وإنك لتغفر « للبرق » هذا الوقوف الذى لا يكاد ينتهى عند كل محطة إنتظاراً للبريد الذى لا يصل أبداً ... ومرة أخرى فيم الحزن إذا كان الناس يحضرون ليشاهدوا « لويبى دى لا بريرا » الالهية ... وإذا كانوا يتهيأون من غدهم لزيارة ... « القصر الأحمر » و « القصر الأبيض » فى جنوا ...

وكانت جنوا وجهتى حينما التقيت بادم ريمون وكان ماضياً اليها أيضاً ! ... وسألنى قائلا :

— أتريد أن تقطع رحلة سويا ؟ .

أجبته وأنا أدفعه فى رفق أمامى إلى الصالون :

— بكل سرور ...

ولم أكن مخلصاً فى قولى هذه ... وما ذاك لأن طبع ريمون بيان طبعى ... فهو شاب لطيف للغاية وإن كان متكلماً هوناً ما وهو رفيق صادق الود فما كان يربطنا فى صداقتنا التى أوفت على العشرين عاماً سوى أنبل الصلات وأطيبها .. وهو بعيد الأفق غزير العلم ... جم الثقافة ... سمحت له ثروته بالتنقل والسفر ... ولكنه إلى ذلك ... كان ثرثارا ... وإننا لندرك بدهياً آراء هذا النمط من الناس ... فى الأشياء التى هى مدار الحديث فى الصالونات المنتثرة حول قوس النصر ..

بالأمس أطروا قصصى تولستوى وأبزيو ... واليوم يشهرون نحت « دودان » وتصاوير بيزنار .. وغداً من يدرى ؟ . ولكننى عرفت منذ عهد بعيد كيف أميز فى ثرثرات هذا الطراز

ولسنا نعرض للكتاب الذى قيل ان « مؤلفه » بدل عنوانه ومقدمته وقدمه إلى القارئين على نحو جديد ، فقد يكون لصاحب هذا الكتاب مع طابعه شأن آخر . ولكن نحب أن نفرض لهذه المقالات التى تنشر فى صحفنا الدورية ، فكثير من هذه المقالات سبق نشرها فى هذه الصحف بعينها منذ سنين ، ولكن بتوقيعات أخرى غير هذه التوقيعات التى نراها اليوم . ومن هذه المقالات مقالات مضى أصحابها إلى ربهم وقطعوا صلتهم بهذه الدار الفانية ومنها مقالات كتبها أناس ما زالوا يكابدون أوصاب الحياة ، ولكنهم قطعوا ما بينهم وبين الحياة الأدبية ، ومنها مقالات كتبها صاحب هذا القلم الضعيف فى مناسبات مختلفة قبل بضع سنين !

والصحف ـ ولا شك ـ لا تلام على نشر ما تنشر لأنها لا تقرأ الغيب ولا تقلب صحائفها فى الماضى البعيد أو القريب ، وإنما يلام أولئك « الكتاب » الذين لا يراعون الأمانة ولا يراقبون الضمير ولا يتوافون لشرائط الأخلاق ومراسم التقاليد!

إن سرقة مقالة أو قصيدة أشبه ما تكون بسرقة متاع من المتاع ، وسارق المتاع يعتقل فى حالة « التلبس » كما يقولون ويعاقب ويشهر به ويفقد « اعتباره » ومستقبله . ولكن صاحب المقالة أو القصيدة ـ وهو فى الأغلب الأعم له نفس شاعرة ـ يعز عليه أن يشهر أو يشنع بمن سرق نتاج فكره ، أفلا يتقى الله لصوص الأفكار ، حتى لا يأخذهم القانون بما جنت أيديهم أسوة باخوانهم من لصوص المتاع !

منصور جاب الله

من الناس الآراء التي ليست سوى الصدى الحاكي لآراء الغير ..
والقصص التي يمكن أن تكون أصيلة . وقد مضى على رعون قصة من هذا القبل الأخير . . أريد أن أقصها بدوري . وهي تنتمي إلى مجموعة « حالات الضمير » .. وطبقا لما قرر باسكال « إن لذة الحياة في هذه الوخزات وفي التماس الحلول لها ..

قص على رفيق هذه القصة . . وقطارنا يقطع الطريق من « نوفي » إلى « سامبرد اربنا » وكنا قد تناقلنا طائفة من الآراء عندما بدهني بهذا السؤال :

— أين تقيم في جنوا ؟

فعينت له فندقاً في ظاهر المدينة كنت أوثره على غيره لحديقته الرجيبة ... أجابني بقوله :

— لسوف نفترق إذن ... فإن هذا الفندق يرتبط في ذهني بذكرى مؤلمة جداً .. وإني ليتلبسني اعتقاد باطل عسى بأن يجعلني أعزف عن الأماكن التي وقع فيها حادث مؤلم .. حادث ؟ ... إن الكلمة ضخمة .. ومع هذا ؟ ...

وانقضت فترة ثم استطرد :

أود أن أعرف ما ذا كنت خليقاً أن تصنع لو أنك كنت في مكاني ؟ ... وسأستبدل بالأسماء الأصلية أسماء من عندي . . هذا فضلا عن أنك لا تعرف أصلا أصحابها . !

... وأنشأ يسرد على قصته فقال :

— كان ذلك منذ خمس سنوات .. في زورتي الأولى لجنوا .. وكنت حللت بهذا الفندق لنفس السبب الذي يدعوك إلى النزول فيه . وكنت قد زرت في نهاري القصور والكنائس وكل ما هو جدير بالزيارة في جنوا .. وفي المساء بينما كنت جالساً في إحدى خمائل الفندق المذكور أقيد ملاحظاتي على انفعالاتي في يومي . . إذ أرعدتني جلجلة صوت على قيد خطوات مني صادرة من الممشى الذي كانت تفصلني عنه شجرة فرعاء ..

كانت ثمة أمرأة تتكلم .. حادسة أنه ليس من ينصت اليها .. وكان ثمة رجل يمشي إلى جوارها

وكانت العبارة التي انفرجت عنها شفتاها جد مبتذلة توحي بأنها في ميعة الصبا وغضارة الشباب قالت :

— آه يا حبيبي العزيز . . لم أكن أحلم بهذا . . أن أكون هنا معـــك .. أمام هذا البحر . . وتحت هذه السماء . . وهذه الساعات اللطيفة في انتظارنا . . تمالى عشرة ساعة إذا استقل القطار عند الظهيرة !

أجابها قائلا :

— وكذلك أنا . . لم أكن آمل أن تمدى حرة طليقة . . ولكن فلنتنقل .. ولنعد إلى الفندق . . فالجناح أمين . . ولست آمل أن يقابلنا هنا أحد ! ...

تساءلت قائلة :

— ومن إذن ؟ ... إنه لأمر جميل للغاية أن أستنشق هذا الهواء ... وأني أشهد غروب الشمس معك

قال :

— إنني أوثر مع ذلك أن أنفذ للفور فكرتي ... وأن أتحقق من ثبت النزلاء حالما أصل إلى الفندق .

قالت في نبرة يكسوها العتاب الرقيق :

— أتأسف أن أنتهب هذه اللحائق الخمس ... أوه ... كو أنك خليص في حبك لي ... لما تعلقت هكذا

قال ولكن يا حبيبي إنه من حراك أن أتحامى المضايقات بأي ثمن ! .

تأوهت قائلة : ليكن ما يكون .. سأكون جد سعيدة حتى ليتساوى عندي كل شيء .. أتسمع .. كل شيء ..

.. وجازى بي دون أن يثبتني ... والآن لتحكم على طبيعة انفعالي ومداه . إذ عرفت في هذه العاشقة الهلوك ـ التي لم تقو على أن تمالك نفسها من أن تصيت هكذا بسعادتها ـ زوج صديق من أعز أصدقائي على نفسي .. وأقربهم إلى قلبي ... وسأدعوه لسياق قصتي « شارل روتيه » وسأدعو زوجه « مرجريت » أما الشريك في هذه المقابلة التي تمت في هذا الفندق النادر في جنوا فكان مجهولا لي ! .

ولتعلم كذلك أنني كنت ذهبت في صبيحة هذا اليوم إلى دار البريد طلباً لبريدي ... فالفيت هناك رسالة من روتيه نفسها عليها خاتم بريد باريس ـ وذكر لي روتيه في رسالته أن ابنة عم زوجه دعتها إلى رحلة قصير غايتها خمسة عشر يوما تقضيها ترويحاً عن النفس في فلورنسا وروما ... وسمى لي ابنة العم هذه عرفاناً بالصنيع الجميل والسرور الذي أدخلته إلى قلب عزيزته مرجريت

... ولم يكن آل روتيه من السراة ... بل كان شارل في مستهل حياته العملية كحام ... وقد أحرز نجاحاً ... وأصاب صيتاً منذ عهد غير بعيد ... وكانت إبنة العم على النقيض من ذاك ... كانت تحصل على ريع يقدر بمائة الف فرنك عرفت ذلك لأنني شهدت زواج شارل بوصفي شاهداً ثانيا ... وكانت ابنة العم هذه هي نفسها التي منحتها في موكب الزفاف زراعي .. مضى على ذلك الآن خمس سنوات ... خمس سنوات صغيرة ! ...

... وكان العشيقان قد آبا منذ حين إلى الفندق ... ولاجرم أنهما تناولا سوياً طعام العشاء في هذه المؤانسة الخطرة المسكرة ...

ولو لم يكن روتيه صديق الحميم لاستشعرت له السخرية بديلا من الحزن ... إذ أذكر الانهيار المريع لهذا الزواج البكر ... على أن مجرد المفارقة بين مراسم الزواج التي طافت ذكراها بذهني . وبين هذه المقابلة أفعمت نفسي بمرارة فذة . ولكن روتيه كان صديقي .. وكان مسهبا بهذه السيدة التي بنت به على معارضة هينة من ذويها .. وكنت أعرف أنه يكد ويكدح من أجلها .. ومن أجل إسعادها .. وأنه بعد إذ لم تنجب له طفلابات ينتظره مقدمه في شغف وتطلع .. تدبر هذا كله .. تلم بالحصر والضيق اللذين دفع بي اليهما هذا الاكتشاف الفجائي ! ...

كانت هذه المرأة الزنبة تخون صديقي ... فكم من الوقت استغرقته هذه الخيانة ؟ .. وفي أي مكان التقت بهذا الفتى الذي لم أذكر أبداً أنني أثبته لديهم ؟ . وما الدور الذي لعبته ابنة العم ؟ أكانت على اتفاق مع مرجريت أم أن هذه الأخيرة عرفت كيف تجد الوسيلة الى مغافلتها كما غافلت شارل ؟ وهل كان هذا هو اللقاء الاول للعاشقين أم قد سبقته لقاءات ؟ . ومن يدرينا أن هذا الطفل الذي كان صديقي يرقب بانفعال الأبوة الملهوفة مقدمه لم تكون جرثومته هنا . في هذا الفندق أرامن خلال الأشجار الباسقة ؟

فرضت هذه الأسئلة نفسها جملة على نفسي وتركزت في السؤال التالي ؟ .

— ما هو واجبي ؟ .

هناك حكمة هندية تعرفها أنت كما أعرفها أنا . . تقول « لا ينبغي ألا تضرب المرأة ولا بزهرة » . وفكرة البطولة التي تحويها الحكمة مطبوعة في أعمق كياننا بفصل وراثة عريقة . ومتأثراً بهذه الحكمة الغالية تساءلت قائلا :

— أواجبي أن أصمت .. أن أصمت ؟ ...

.. وفي تأملاتي الطارقة رأيت شارل روتيه كما رأيته دواماً مذ بنى عرجريت .. منحنياً فوق أكداس القضايا .. فيتلقاني في مكتبه بهذه الكلمات ..

— لقد تضاعف عملي فما أستطيع أن أنهض لمصافحتك .. وتضاعفت كذلك ثروتنا الضئيلة . فقط لو كان ثمة في تبذل من أجله هذه الجهود ..

ثم يبدي لي صفحة .. غضنها التعب والأين وقدشاعت فيها ابتسامة سعيدة ! .

هكذا بينما كان يجهد نفسه ويبهظ أعصابه في العمل ليحقق الترف لزوجه كانت هذه تعبث مع سواه !.

وتبدد النقود في الأصباغ لتتراءى جميلة في عين آخر ! . هذه النقود التي اكتسبها بالعرق زوجها الكادح ! . وأنا بعد الذي سمعته هل أسمح أن يستمر استغلال امرأة عابثة لهذا الزوج الشريف النبيل .؟ .. أأصمت ؟ لئن فعلت ذلك لعد أشتراكا في في الجريمة ! . وانثالت دفعة واحدة على ذهني ذكريات صداقتي الطويلة لشارل منذ إن كان صبيا في العاشرة إلى أن تخرجنا سوياً في كلية الحقوق ! . هذه الزمالة والأخوة اللتان تربوان على ربع قرن ثارتا في كياني ضد هذا التواطؤ في الصمت لأن الصمت .. معناه مساهمة في الجريمة .. إذا ماذا لو علم شارل بخيانة مرجريت ثم أتيأتي بهذه الخيانة ؟ هل أجيبه إذ ذاك بقولي :

— إني أعرف كل شيء . ! وإذا كان هو جوابي .. أما يغضب مني لأني لم أنبهه . . أنبهه ؟ . . أأشي بامرأة ... أهذا ممكن ؟ . .

وبدا لي أن أكتب لصديقي .. ولكن يتحطم القلم خير من أن يخط قصة خيانة الزوجة .. ؟ ولكن شعوري بأن الخيانة وقد كانت على قيد خطوات مني ! .. وفي اللحظة ذاتها التي كانت فيها مرجريت بين ذراعي عشيقها ... وبما في حجرة مجاورة لحجرتي أضاف هذا إلى العراك الخافق المحتدم في نفسي رعباً جثمانيا أوقف بي على العذاب ! . .

وفي الصباح كان قد استقر رأيي على الصمت . ! ولن أشي بمرجريت ولم يعلم شارل شيئا وسوف لا يكون في ذلك أول الازواج المخدوعين ولا آخرهم .. إنه يتعبدها حباً ومعنى اطلاعي إياه على فاحشتها أنني أضع في قبضته سلاح الانتحار فالخير إذن

فى أن يظل جاهلا كل شىء .. أما عن نفسى فقد أملت أن أنسى هذا الاكتشاف الذى ساقه إلى الاتفاق العجيب! .. إن مرجريت روتيه لم ترنى وهى تجهل أننى أعلم سرها وسوف تظل على جهلها أبداً! وطبقاً لما قالته فى ممشى الحديقة فانها ستستقل قطار الظهر وإذ كان مفروضاً أن أستقل بدورى قطاراً فى اتجاه مضاد فيما يقرب من موعد سفرها فقد أجمعت أمرى على أن أرجىء رحيلى حتى لا أخاطر بمقابلتها ..؟

غادرت الفندق فى وقت مبكر جدا بعد هذه الليلة التى قضيتها وأنا مسهد أرق وقد حزمت رأيى على ألا أعود إلا فى ساعة متأخرة عند ما تكون مرجريت قد زايلت الفندق إلى المحطة ذلك أنى آثرت ألا أراها ! . وبعد أن مضيت على وجهى فى طرقات المدينة دون قصد أو غاية أفضى بى السير إلى « القصر الأحمر » فرأيت أن ألجه لأرى من جديد صور « فان ديك » .. ولك أن تحكم على انفعالى إذ تهادى إلى أذنى من جديد فى إحدى القاعات الهادئة لهذا المتحف المهجور الصوت الذى أقلقنى أمس تحت أشجار الحديقة .. كانت مرجريت هناك .. وكانت تسأل فيجيبها صوت عرفت فيه صوت رفيق الليلة الماضية . وكنت - لحظتئذ أتأمل صورة المركيز باولا الشهيرة . وأحسست بهما يتهامسان .. وفجأة سمعت وشوشة أعقبها تغيير فى لهجة الخطاب ومجرى الحديث ! . ذلك أن مرجريت رأتنى وعرفتنى .. وليس شك فى أنها أسرت لماشقها هذه الكلمات :

— صديق لزوجى !

أكان ينبغى أن أعود أم كان ينبغى أن أحييها فأهبها بذلك فرصة تلمس المعاذير .؟ وهنا أيضا تزات عند حكم السداد والحجا فتظاهرت بأنى لم أحس وجودهما . وتلوت أتأمل الصورة وظهرى إليهما .. وبعد فقد انساب إلى صوت السيدة التمسة وهى تعلق على الصورة بكلام قصد ايهامى بأنها التقت بصاحبها فى المتحف عرضاً .. ثم كان أن زايد المكان سريعاً ورفيقها فى إثرها !

وحاصل القول فانى حينما تناءت منى خطوات مدام روبته وخطوات صاحبها وشرعت أدرج فى الطريق ، رأيتنى أقع فريسة لحالة وخز ضمير أتجاوز عن وصفها ! . ذلك أننى بتظاهرى أننى لم أر مرجريت أتحت لها أن تعلم كما لو كنت قد وجهت إليها القول صريحاً أننى أعتبرها مذنبة . وليس شك فى أن أول عمل قام به الفتى عند عودته إلى الفندق أن راجع ثبت النزلاء واستجلى فيه اسمى عندئذ أدركا الحقيقة أدركا أننى لا مشاحة رأيتهما وهما يطرقان ممشى حديقة الفندق ، ولهذا السبب فانى لم أبد دهشة ما عند ما رأيتها فى دهليز (القصر الأحمر) .. أدركت زوجة شارل أننى عرفت لها خليلا .. ولذلك فقد عرانى رعب المشاركة فى الجرم ! على أننى لو كنت تقدمت منها وقلت :

أهذا أنت ياسيدتى ؟ .. لقدمت إلى رفيقها زاعمة أنها التقت إتفاقاً به فى جنوا ولكتبت إلى زوجها كما قد تظنى فاعلا ! : ولكن الموقف يختلف الآن . إذ يبقى عليها أن تصمت تجاه شارل حتى لا يتعارض موقفها مع موقفى ! .

وكان من أثر هذا الموقف أنى بقيت أسبوعين دون أن أطلب من شارل أخباره أو أكتب له بأخبارى وتابعت كذلك أسبوعين عند عودتى إلى باريس فلم أقم بزيارته .. وقد أدركت أن جفوتى هذه كانت عملا غير صواب كسلوكى فى دهليز « القصر الأحمر » !

وفى يوم . بينما كنت فى المنزل وحدى إذ أنبأنى الخادم بأن سيدة تطلب مقابلتى فأذنت له باستقبالها . إذ ذاك اجتليت مرجريت روتيه بعينها تدلف إلى غرفة الاستقبال وبادرتنى بقولها . لقد ضعت !

وأردفت فجأة كممتوهة !

— إن الصدفة وضعت سرى بين يديك فلم توش بى لدى شارل .. وأعرف أنك صدقت عن زيارتنا لهذا السبب أيضا .. ولكنك تحمل بين جنبيك قلبا كبيرا وستشفق على إنسانة تمسة أكرر لك أننى ضعت .

وهكذا لم تعد بعد المشاركة السالبة فى الجرم ماتطلبه الشقية منى ... بل هى المشاركة الموجبة وكانت قد عادت من ايطاليا منذ أيام ثلاثة فحسب ... وبآيات بينات أدركت أنها حامل لشهرها وينبغى أن أضيف إلى ما سلف أنها اعترفت لى أيضا وهى تنشج بأنها منذ ظاهرت بخليل وهى تتعلل باعتلال الصحة لتعيش بمنأى عن بعلها . وإذ أنذرتها هذه الأمومة بالخطر الداهم وكنت ثمة أنا الصديق الحميم الذى أكاد أن أكون لزوجها أخا لأقص ما شهدته عيناى وما سمعته أذناى فقد فكرت فى الفرار مع حبيبها ثم عدلت به إلى الانتحار . ولكن غريزة حب البقاء أطاحت بهذه الحافزة . وأخيرا لاذت بى فى ارتباكها لأننى كنت محيطا بسرها . وكما قالت لى لتتوسل بشفقتى إلى . إلى ماذا ؟ .آه .. لقد رأيت إذ ذاك كم هو هش ورقيق هو هش ورقيق هذا الحاجز الذى يفصلنا عن الجريمة ! لقد فزعت إلى لأصحبها إلى طبيب لتسأله ماذا أيضا ؟ مساعدة أثيمة ليوقف هذا الحمل المفضوح .

أى حاجة آنت لأن أقول لك بماذا أجبتها ؟ لقد ضرعت اليها أن تعيش والا تتعدى لا على أيامها . ولا على أيام الجنين الذى تحمله فى أحشائها ... وقلت لها فى أصرار وعزم :

— أولى لك أن تعترف لشارل بكل شيء .. إنك لا محالة مثرية عنه وسيكون لديك ثروتك . وابنك ولن تعدمي سبيلا للطلاق وسوف تتخلى عنك هذه الوساوس الأبدية التي تلازمك كقائلة . وأية قائلة ! وخرجت بعد أن أقسمت لي أنها لن تقدم لا على الانتحار ولا على الاجهاض .

وفي اليوم التالي كان قد تبدد من نفسي كل تردد أقعدني عن العودة إلى زيارة شارل . وألفيتني لديه في الساعة العاشرة . وقد برهن لي احتفاؤه السعيد بي على أنه يرتاب في شيء من المأساة التي كان بيته مسرحها . وفي المساء تناولت لديه طعام العشاء إلى جانب الزوجة التي أعادت إلى ذكريات ذلك اليوم المشئوم .

ودرج شهر آخر .. وقال لي شارل بينما كنت أتناول العشاء لديه .

— إنني جد سعيد يا صديقي .. إن حلمي القديم بسبيل أن يتحقق .. وأملي كبير في أن أغدو أبا . وستكون أنت الاشبين .

وفي أقل من ثمانية أشهر كانت مرجريت قد وضعت له طفلا وقد أعلن له الوالد المزعوم الكارثة بزهو قائلا :

— أجل يا صديقي . لقد ولد قبل الموعد المألوف ... في سبعة أشهر ونصف ، إنه لأمر عجيب ... وقد ساورني الخوف والقلق ... ولكن الطبيب طمأنني وقد ظفرت مرجريت بعنوانه من قبيل الصدفة من إحدى صاحباتها عند عودتها من إيطاليا ! بيني وبينك .. لقد قاست طويلا وفقدت الأمل في أن أغدو أبا ... مرة أخرى ... أنا جد سعيد ! !

وإذ كان يتحدث إلي ... كنت أشعر بالظهور والخزي فقد أيقنت أن مرجريت روتيه حالما خرجت من عندي مضت إلى أحد الأطباء وحدثته برغبتها في الاجهاض ، فنصحها بأن تعود إلى زوجها ... وتتريه ! حتى إذا اقترب موعد الوضع اقنعته بقبول هذا التبكير فيه ... وبعد فإن هذا أمر محتمل !

أكنت مصيباً أم مخطئاً أنني عدوت وجه الصواب في تراخي عن الحديث ؟ أكنت مصيباً أم مخطئاً في صمتي الآن ؟ أكنت مصيباً أم مخطئاً عندما أمسكت الطفل على جرن المعمودية .. هذا الطفل الذي كنت أعلم حقيقة أبوته ؟

.. ومهما يكن من شيء فقد وجدت أمه في أقل من ستة أشهر من مولده الوسيلة للايقاع بيني وبين شارل .. ولم أحاول من جانبي أن أحول دون هذه الوقيعة لأن اختلافي إلى هذا المنزل كان قد غدا أمراً شاقاً على نفسي !

وأظنك عرفت الآن لم لن أرافقك إلى فندق (٠٠) في جنوا ٠٠ أينبغي أن أعترف بدوري بأنني مشاركة مني في هواطفي لإدم ريمون لم أنزل هذه المرأة في فندق (٠٠) ٠٠ وطالما سألت نفسي ماذا كان ينبغي أن يكون عليه سلوكي فيما لو كنت في مكانه كما طلب مني . ؟ إن هذا الصمت بالقياس إلى صديق حميم لهو جريمة ٠٠ والكلام أمر بالغ القساوة ٠٠ هذا هو البرهان على أنه ينبغي دائما أن نتجاهل بعض الأسرار ! فإن أرشد جانب في الحياة أن يغمض الإنسان عينيه ٠٠ ويصم أذنيه حتى لا يدرك أخطاء الغير ٠٠ هذه هي الطريقة الوحيدة كيما نعيش في الحياة نقيين وهي ليست بالطريقة السهلة دائما ٠٠

كمال رستم

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات

المناقصات العامة

اعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكي بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها في داخل الصندوق المخصص لذلك في ادارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١١ / ٧ / ١٩٥٠

عن توريد أثاث خشبي . وبطاطين . وبياضات . وخامات أشغال ابرة . وأدوات نظافة وأدوات تعليم . وأجهزة جغرافيا . وأدوات مائدة

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من مراقبة التوريدات بشارع صفية زغلول (الانشا سابقا) بالقاهرة نظير دفع الثمن وقدره ٢٥٠ مليم (مايتان وخمسون مليما لا غير) خلاف أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما ٥٢٢٥